

## الفصل الثاني والعشرين

### ما بعد رسول الله (ص)

احداث ما بعد الوفاة:

القسم الاول: السقيفة\* السقيفة والسياسة: 1- السقيفة: المؤتمر وجدول الاعمال. 2- السقيفة والصراع الاجتماعي والسياسي: أ-الصعيد النفسي. ب- الصعيد السياسي. ج- الصعيد الاجتماعي. د - صراع المصالح. 3- الاسلام والضغوط المتقاطعة. 4- وفاة النبي (ص) وانتقال السلطة. 5- لعبة السقيفة ولعبة الخلافة. 6- السقيفة والجماعات السياسية\* القسم الثاني: صيانة القرآن: 1- شخصية علي (ع) والقرآن الكريم. 2- المصحف الحق المحفوظ بين الدفتين. 3 - تلاميذ الامام (ع). 4 - علة تضارب الاقوال حول جمع القرآن.

## أحداث ما بعد الوفاة

كانت وفاة رسول الله (ص) صدمة عظيمة لافراد المجتمع المدني، الا ان الموت لم يكن غائباً تماماً عن اذهانهم. فقد لَمَح النبي (ص) مرات عديدة في حجة الوداع وفي غددير خم وفي المدينة بعد رجوعه اليها من ان اجله قد دنا، وانه ينتظر اللحظة التي يلي فيها نداء ربه. وقد اوصى بالخلافة لعلي (ع)، فليتم قرير العين متنعماً (ص) بلقاء ربه. ولكن الاحداث لم تجر كما حُطط لها، بل اتخذت منحىً خطيراً للغاية عندما انعقدت السقيفة دون علم علي (ع)، وفي اللحظة التي كان يضع فيها رسول الله (ص) في مثواه الاخير. فكانت السقيفة من اعظم احداث فترة ما بعد الوفاة، وكان جمع القرآن من قبل الامام (ع) المحطة الثانية في تلك الحقبة الزمنية الحاسمة. ولذلك فقد قسّمنا احداث هذا الفصل الى قسمين : السقيفة، وصيانة القرآن الكريم.

### القسم الاول: السقيفة

ذكر صاحب كتاب «الامامة والسياسة» ان رسول الله (ص) لما قبض طلب العباس عم النبي (ص) مبايعة الامام (ع)، فقال «لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه : أبسط يدك أبايعك، فيقال : عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله (ص)، ويبايعك أهل بيتك، فإن هذا الامر اذا كان لم يقل... وقد كان العباس (رض) لقي ابا بكر فقال : هل اوصاك رسول الله بشيء؟ قال : لا. ولقي العباس ايضاً عمر، فقال له مثل ذلك. فقال عمر : لا. فقال العباس لعلي رضي الله عنه : ابسط يدك أبايعك ويبايعك أهل بيتك»<sup>1</sup>.

### اجتماع الانصار الى سعد بن عباد :

واجتمعت الانصار (رض) الى سعد بن عباد، فقالوا له : ان رسول الله (ص) قد قبض. فقال سعد لابنه قيس : اني لا استطيع ان أسمع الناس كلاماً لمرضي، ولكن تلق مني قولي فأسمعهم. فكان سعد يتكلم، ويحفظ ابنه قوله، فيرفع صوته، لكي يسمع قومه.

فكان مما قال، بعد ان حمد الله واثني عليه : يا معشر الانصار إن لكم سابقة في الدين وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب. ان رسول الله (ص) لبث في قومه بضع عشرة سنة، يدعوهم الى عبادة الرحمن، وخلع الاوثان. فما آمن به من قومه الا قليل. والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوا رسول الله (ص)، ولا يعرفوا دينه، ولا يدفعوا عن أنفسهم، حتى اراد الله تعالى لكم الفضيلة، وساق اليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به وبرسوله (ص)، والمنع له ولاصحابه والاعزاز له ولدينه، والجهاد لاعدائه. فكنتم

<sup>1</sup> الامامة والسياسة - ابن قتيبة ج 1 ص 21.

أشد الناس على من تخلف عنه منكم، وأثقله على عدوكم من غيركم، حتى استقاموا لامر الله تعالى طوعاً وكرهاً، واعطى البعيد المقادة صاغراً داحراً حتى اثنى الله تعالى لنبيه بكم الارض، ودانت باسيافكم له العرب، وتوفاه الله تعالى وهو راض عنكم وبكم قريير العين، فشدوا أيديكم بهذا الامر، فإنكم أحق الناس واولاهم به.

فاجابوه جميعاً : أن قد وفقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت توليتك هذا الامر، فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضا<sup>2</sup>.

### إسراع قريش الى السقيفة :

فأتى الخبر الى ابي بكر، ففزع اشد الفزع، وقام ومعه عمر، فخرجا مسرعين الى سقيفة بني ساعدة. فلقيا ابا عبيدة بن الجراح، فانطلقوا جميعاً ، حتى دخلوا سقيفة بني ساعدة، وفيها رجال من الاشراف، معهم سعد بن عباد، فاراد عمر ان يبدأ بالكلام. وقال : خشيت ان يقصر ابو بكر عن بعض الكلام.

فلما تيسر عمر للكلام، تجهز ابو بكر وقال له : على رسلك، فستكفى الكلام. فتشهد ابو بكر، وقال : ان الله حل ثناؤه بعث محمداً (ص) بالهدى ودين الحق، فدعا الى الاسلام، فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى ما دعا اليه. فكنا معشر المهاجرين اول الناس اسلاماً، والناس لنا فيه تبع. ونحن عشرة رسول الله (ص)، ونحن مع ذلك أوسط العرب أنساباً، ليست قبيلة من قبائل العرب الا وقريش فيها ولادة. وأنتم ايضاً والله الذين آووا ونصروا، وأنتم وزراؤنا في الدين، ووزراء رسول الله (ص)، وأنتم إخواننا في كتاب الله تعالى وشركاؤنا في دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء. والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا فيه، فأنتم أحب الناس لنا، واکرمهم علينا، وأحق الناس بالرضا بقضاء الله تعالى، والتسليم لامر الله عز وجل ولما ساق لكم وإخوانكم المهاجرين، وهم أحق الناس فلا تحسدوهم، وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة. والله ما زلتم مؤثرين إخوانكم من المهاجرين، وأنتم أحق الناس ألا يكون هذا الامر واختلافه على أيديكم، وأبعد ان لا تحسدوا إخوانكم على خير ساقه الله تعالى اليهم. وإنما ادعوكم الى ابي عبيدة أو عمر، وكلاهما قد رضيتُ لكم ولهذا الامر، وكلاهما له أهل.

فقال عمر وابو عبيدة : ما ينبغي لأحد من الناس ان يكون فوقك يا ابا بكر، انت صاحب الغار ثاني اثنين. وأمرك رسول الله (ص) بالصلاة !! فأنت أحق الناس بهذا الامر.

<sup>2</sup> قال الطبري في (تاريخه): ثم اتم ترادوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش، فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله (ص) الاولون، ونحن عشرته واولياؤه، فعلم تنازعونا هذا الامر بعده. فقالت طائفة منهم: فإننا نقول إذا: منا امير ومنكم امير، ولن نرضى بدون هذا الامر ابداً. فقال سعد بن عباد حين سمعها: هذا اول الوهن.

## النقاش بين الانصار والمهاجرين:

فقال الانصار : والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم، وإنما كما وصفت يا أبا بكر والحمد لله، ولا احد من خلق الله تعالى أحب الينا منكم، ولا أرضى عندنا ولا أيمن ولكننا نشفق مما بعد اليوم. ونحذر ان يغلب على هذا الامر من ليس منا ولا منكم، فلو جعلتم اليوم رجلاً منا ورجلاً منكم بايعنا ورضينا. على انه إذا هلك اخترنا آخر من الانصار فاذا هلك اخترنا آخر من المهاجرين ابداً ما بقيت هذه الامة. كان ذلك أجدر أن يعدل في امة محمد (ص) وان يكون بعضنا يتبع بعضاً، فيشفق القرشي ان يزيغ فيقبض عليه الانصاري، ويشفق الانصاري ان يزيغ فيقبض عليه القرشي.

فقام ابو بكر، فحمد الله واثني عليه وقال : ان الله تعالى بعث محمداً (ص) رسولاً الى خلقه، وشهيداً على امته ليعبدوا الله ويوحده وهم إذ ذاك يعبدون آلهة شتى، يزعمون انها لهم شافعة، وعليهم بالغة نافعة. وانما كانت حجارة منحوتة، وحشياً منجورة، فاقرأوا ان شئتم : (انكم وما تعبدون من دون الله...)<sup>3</sup> ، (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله...)<sup>4</sup> ، وقالوا : (... ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى...)<sup>5</sup> . فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم، فخص الله تعالى المهاجرين الاولين رضي الله عنهم بتصديقه، والايمن به، والمواساة له والصبر معه على الشدة من قومهم، وإذلالهم وتكذيبهم إياهم وكل الناس مخالف عليهم، زار لهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وإزراء الناس بهم واجتماع قومهم عليهم. فهم اول من عبد الله في الارض، واول من آمن بالله تعالى ورسوله (ص)، وهم اولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بالأمر من بعده لا ينازعهم فيه الا ظالم. وانتم يا معشر الانصار من لا ينكر فضلهم ولا النعمة العظيمة لهم في الاسلام، رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم مهاجرته. فليس بعد المهاجرين الأولين احدٌ عندنا بمنزلتكم، فنحن الامراء، وانتم الوزراء، لا نفتات دونكم بمشورة، ولا تنقضي دونكم الامور.

## مناقشة الحباب بن المنذر:

فقام الحباب بن المنذر، فقال: يا معشر الانصار: املكوا عليكم أيديكم، فإنما الناس في فيئكم وظلالكم، ولن يجير مجير على خلافكم، ولن يصدر الناس الا عن رأيكم. أنتم اهل العز والثروة وأولو العدد والنجدة، وانما ينظر الناس ما تصنعون، فلا تختلفوا، فيفسد عليكم رأيكم، وتقطع اموركم. انتم اهل الايواء

<sup>3</sup> سورة الانبياء: الآية 98.

<sup>4</sup> سورة يونس: الآية 18.

<sup>5</sup> سورة الزمر: الآية 3.

والنصرة، واليكم كانت المحجرة. ولكم في السابقين الاولين مثل ما لهم، وأنتم اصحاب الدار والايمن من قبلهم. والله ما عبدوا الله علانية الا في بلادكم، ولا جمعت الصلاة الا في مساجدكم، ولا دانت العرب للاسلام الا بأسيايفكم، فأنتم اعظم الناس نصيباً في هذا الامر وإن ابي القوم، فمننا امير ومنهم امير.

فقام عمر، فقال: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد. إنه والله لا يرضي العرب ان تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي ان تولي هذا الامر الا من كانت النبوة فيهم، وأولو الامر منهم، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة، والسلطان المبين. من ينازعنا سلطان محمد وميراثه، ونحن اولياؤه وعشيرته، الا مدل باطل، او متجانف لإثم، او متورط في هلكة.

فقام الحباب بن المنذر، فقال: يا معشر الانصار: املكوا على ايديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر، فإن أبوا عليكم ما سألتهم فأجلوهم عن بلادكم، وتولوا هذا الامر عليهم. فأنتم والله اولي بهذا الامر منهم، فإنه دان لهذا الامر ما لم يكن يدين له بأسيافنا. اما والله إن شئتم لنعيدوها جذعة<sup>6</sup>. والله لا يرد عليّ أحد ما أقول الا حطمت أنفه بالسيف.

قال عمر بن الخطاب: فلما كان الحباب هو الذي يجيبني، لم يكن لي معه كلام، لانه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله (ص)، فنهاني عنه، فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوؤه ابداً<sup>7</sup>. ثم قام ابو عبيدة، فقال: يا معشر الانصار أنتم اول من نصر وآوى، فلا تكونوا اول من يبدل ويغير.

#### مخالفة بشير بن سعد ونقضه لعهدهم:

ولما رأى بشير بن سعد ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عباد، قام حسداً لسعد بن عباد. وكان بشير من سادات الخزرج، فقال: يا معشر الانصار، أما والله لئن كنا اولي الفضيلة في جهاد المشركين، والسابقة في الدين، ما أردنا إن شاء الله غير رضا ربنا، وطاعة نبينا، والكرم لأنفسنا، وما ينبغي أن نستطيل بذلك على الناس، ولا نبتغي به عوضاً من الدنيا. فان الله تعالى ولي النعمة والمنة علينا بذلك. ثم ان محمداً رسول الله (ص) رحل من قريش، وقومه أحق بميراثه، وتولي سلطانه. وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الامر أبداً، فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم.

#### بيعة ابي بكر:

ثم قام ابو بكر على الانصار، فحمد الله تعالى واثني عليه، ثم دعاهم الى الجماعة، ونهاهم عن الفرقة،

<sup>6</sup> الجذعة: الفتية. والجذع من الابل ما استكمل الاربع ودخل في السنة الخامسة من العمر. والانشى جذعة.

<sup>7</sup> وفي (تاريخ الطبري): فقال عمر: إذا ليقتلك الله! فقال: إياك يقتل.

وقال : إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين : أبي عبيدة بن الجراح، أو عمر فبايعوا من شئتم منهما، فقال عمر : معاذ الله ان يكون ذلك وأنت بين أظهرنا، أنت أحقنا بهذا الامر، وأقدمنا صحبة برسول الله (ص)، وأفضل منا في المال، وانت أفضل المهاجرين وثاني اثنين، وخليفته على الصلاة ! والصلاة افضل اركان دين الاسلام، فمن ذا ينبغي ان يتقدمك، ويتولى هذا الامر عليك ؟ أبسط يدك أبايعك. فلما ذهباً يبايعانه سبقهما اليه بشير الانصاري فبايعه، فناده الحباب بن المنذر : يا بشير بن سعد، عُنُقُكَ عُقَاقُ ما اضطرك الى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك على الإمارة ؟ قال : لا والله، ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقاً لهم.

فلما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وهو من سادات الخزرج، وما دعوا اليه المهاجرين من قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عباد، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير : لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة، لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة، ولا جعلوا لكم نصيباً فيها ابداً، فقوموا فبايعوا ابا بكر، فقاموا اليه فبايعوه !

فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فأخذه، فبادروا اليه فأخذوا سيفه منه، فجعل يضرب بثوبه وجوههم، حتى فرغوا من البيعة. فقال : فعلتموها يا معشر الانصار، اما والله لكأني بانبائكم على ابواب ابنائهم، قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء. قال ابو بكر : أمنا نخاف يا حباب ؟ قال : ليس منك أخاف، ولكن ممن يجيء بعدك<sup>8</sup>. قال ابو بكر : فإذا كان ذلك كذلك، فالأمر اليك والى اصحابك، ليس لنا عليك طاعة. قال الحباب : هيهات يا ابا بكر، اذا ذهبت انا وانت، جاءنا بعدك من يسومنا الضيم.

#### تخلف سعد بن عباد عن البيعة :

فقال سعد بن عباد : اما والله لو أن لي ما أقدر به على النهوض، لسمعت مني في اقطارها زبيراً يخرجك أنت واصحابك، ولألحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع، خاملاً غير عزيز. فبايع الناس ابو بكر حتى كادوا يطفون سعداً. فقال سعد : قتلتموني. فقال عمر بن الخطاب : اقتلوه قتله الله. فقال سعد : احملوني من هذا المكان، فحملوه فأدخلوه داره وترك أياماً.

ثم بعث اليه ابو بكر : أن أقبل فبايع، فقد بايع الناس، وبايع قومك. فقال : اما والله حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل، وأحضب منكم سنائي ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بمن معي من اهلي وعشيرتي. لا والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي، وأعلم

<sup>8</sup> قال الجوهري في كتاب (السقيفة): لقد صدقت فراسة الحباب، فإن الذي خافه وقع يوم الحرة (سنة 63 هـ) وأخذ من الانصار ثأر المشركين يوم بدر (شرح النهج ج 1 ص 313).

حسابي.

فلما أتى بذلك ابو بكر من قوله، قال عمر : لا تدعه حتى يبايعك، فقال لهم بشير بن سعد : إنه قد أبى ولجّ، وليس يبايعك حتى يُقتل، وليس بمقتول حتى يقتل ولده معه، وأهل بيته وعشيرته، ولن تقتلوهم حتى تقتل الخزرج، ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الأوس، فلا تفسدوا على أنفسكم أمراً قد استقام لكم، فاتركوه فليس تركه بضاركم، وإنما هو رجل واحد. فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه. فكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع بجمعتهم<sup>9</sup>، ولا يفيض بإفاضتهم. ولو يجد عليهم أعواناً لصال بهم، ولو بايعه أحد على قتالهم لقاتلهم، فلم يزل كذلك حتى مات ابو بكر، وولي عمر بن الخطاب، فخرج الى الشام فمات بها، ولم يبايع لاحد. وقد اقام بجوران ومات سنة 15 وقيل سنة 14 وقيل سنة 11، وقد وُجد ميتاً على مغتسله وقد احضر جسدته. وقيل ان قبره بالمنيحة قرية من غوطة دمشق وهو المشهور.

بنو هاشم وامية والبيعة :

واجتمعت بنو هاشم عند بيعة الانصار الى علي بن ابي طالب (ع)، ومعهم الزبير بن العوام، وكانت امه صفية بنت عبد المطلب. وإنما كان يعدّ نفسه من بني هاشم. وكان علي (ع) يقول : ما زال الزبير منا حتى نشأ بنوه، فصرفوه عنّا.

واجتمعت بنو امية على عثمان، واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن بن عوف، فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين. فلما أقبل عليهم ابو بكر وابو عبيدة وقد بايع الناس ابا بكر قال لهم عمر : ما لي أراكم مجتمعين حلقاً شتى، قوموا فبايعوا ابا بكر، فقد بايعته وبايعه الانصار. فقام عثمان بن عفان ومن معه من بني امية فبايعوه. وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا.

واما علي (ع) والعباس بن عبد المطلب ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا الى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام، فذهب اليهم عمر في عصابة فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم، فقالوا : انطلقوا فبايعوا ابا بكر، فابوا. فخرج الزبير بن العوام بالسيف. فقال عمر : عليكم بالرجل فخذوه، فوثب عليه سلمة بن أسلم، فأخذ السيف من يده، فضرب به الجدار. وانطلقوا به فبايع.

إبابة الامام (ع) بيعة ابي بكر :

وقد ورد في روايات القوم ان علياً (ع) أتى به الى ابي بكر وهو يقول : انا عبد الله واخو رسوله،

<sup>9</sup> أي لا يصلي الجمعة معهم.

فقيل له بايع ابا بكر. فقال : انا احق بهذا الامر منكم، لا ابايعكم وانتم اولى بالبيعة لي. أخذتم هذا الامر من الانصار، واحتججتهم عليهم بالقرابة من النبي (ص)، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً؟ أستم زعمتم للانصار أنكم اولى بهذا الامر منهم لمكان محمد منكم، فأعطوكم المقادة، وسلموا اليكم الإمارة. وأنا احتج عليكم بمثل ما احتججتهم به على الانصار نحن اولى برسول الله حياً وميتاً فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من انفسكم، واعرفوا لنا من الامر مثل ما عرفت الانصار لكم، والا فبؤوا بالظلم وانتم تعلمون.

فقال له عمر : إنك لست متروكاً حتى تبايع، فقال له علي (ع) : احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً. ثم قال (ع) : والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه.

فقال له ابو بكر : فإن لم تبايع فلا أكرهك. فقال ابو عبيدة بن الجراح لعلي (ع) : يابن عمّ إنك حديث السنّ وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم، ومعرفتهم بالامور. ولا ارى ابا بكر الا أقوى على هذا الامر منك، واشد احتمالاً واضطلاماً به. فسلم لابي بكر هذا الامر، فإنك إن تعش ويطل بك بقاء، فأنت لهذا الامر خليق وبه حقيق، في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك ودينك، وعلمك وفهمك، وسابقتك ونسبك وصهرك. فقال علي (ع) : الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه. فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحق الناس به. لأننا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الامر منكم ما كان فينا الا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المصطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الامور السئية، القاسم بينهم بالسوية. والله انه لفينا، لا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحق بعداً.

فقال بشير بن سعد الانصاري : لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا عليّ قبل بيعتها لابي بكر، ما اختلف عليك اثنان. قال : وخرج علي (ع) يحمل فاطمة بنت رسول الله (ص) على دابة ليلاً في مجالس الانصار — مجالس نسائهم على الاغلب — تسألهم النصره، فكانوا يقولون : يابنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابي بكر ما عدلنا به، فيقول علي (ع) : أفكنت أدع رسول الله (ص) في بيته لم ادفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة : ما صنع ابو الحسن الا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم<sup>10</sup>.

### تغير السياسة بعد السقيفة :

قال الطبرسي (من اعلام القرن السادس الهجري) وهو يتحدث عن مسارعة القوم الى تقرير ولاية

<sup>10</sup> (الامامة والسياسة) ج 1 ص 21-30. و(تاريخ الطبري) ج 3 ص 202. و(شرح فحج البلاغة) ج 2 ص 266. و(مروج الذهب) ج 2 ص 329.

الامر، وآل البيت (ع) مشغولون بتجهيز رسول الله (ص) : وبعثوا الى عكرمة بن ابي جهل وعمومته الحارث بن هشام وغيرهم فأحضرهم، وعقدوا لهم الرايات على نواحي اليمن والشام، ووجههم من ليلهم، وبعثوا الى ابي سفيان فارضوه بتولية يزيد بن ابي سفيان.

ولما بايع الناس ابا بكر قيل له : لو حبست جيش أسامة واستعنت بهم على من يأتيك من العرب ؟ وكان في الجيش عامة المهاجرين. فقال أسامة لابي بكر : ما تقول في نفسك انت ؟ قال : قد ترى ما صنع الناس<sup>11</sup>، فانا أحب ان تأذن لي ولعمر. قال : فقد أذنتُ لكما.

وخرج أسامة بذلك الجيش، حتى اذا انتهى الى الشام عزله ابو بكر واستعمل مكانه يزيد بن ابي سفيان، فما كان بين خروج أسامة ورجوعه الى المدينة الا نحو من اربعين يوماً. فلما قدم المدينة قام على باب المسجد ثم صاح : يامعشر المسلمين، عجباً لرجل استعملني عليه رسول الله (ص) فتأمر عليّ وعزلني<sup>12</sup>.

### الدلالات العلمية للنصوص

كان اجتماع السقيفة — دون ادنى ريب — اجتماعاً سياسياً عاصفاً حدد سياسة الدولة التي بناها رسول الله (ص)، لسنين طويلة قادمة. ونظرة معمّقة للاجتماع تكشف لنا حقيقة انه لا الدين ولا اخلاقه السامية كانتا الاصل في مداولة الحاضرين ونقاشهم، بل كانت الحدّة القبليّة طاغية على ذلك الاجتماع الحاسم. وهنا نقاط لا بد من الاشارة اليها :

1 — لم يكن بين وصية رسول الله (ص) لعلي (ع) يوم الغدير بالولاية وبين وفاته (ص) الا سبعون يوماً. وتلك مدة قصيرة زمنياً لا يمكن الادعاء فيها بنسيان خطبته (ص) في حجة الوداع ووصاياه فيما يتعلق بالولاية.

2 — كان النزاع بين المهاجرين والانصار حول الخلافة — في وقت كان فيه رسول الله (ص) مسجى في داره — يمثّل عدم رسوخ الدين في قلوبهم، وتحكم النزعات الجاهلية فيهم، واندفاعهم نحو السلطة اكثر من اندفاعهم نحو الدين. وفلسفة التنازع ذاتها توحى بعدم فهم الدين ولا ادراك دوره الاجتماعي في بسط الانسجام والتآخي وانكار الذات.

3 — ان اجتماع قريش في السقيفة بتلك الصورة لم يكن اجتماعاً تلقائياً، بل كان ينمّ عن تخطيط مسبق. ويدلُّ عليه الانسجام التام في المواقف الحساسة تلك من الانصار.

<sup>11</sup> يعني تنصيبه خليفة المسلمين.

<sup>12</sup> (اعلام الورى) — الطبرسي ج 1 ص 271-272.

4 — كانت فلسفة «نحن الامراء واتم الوزراء»، و«لايجتمع سيفان في غمد واحد» التي جاءت بها قريش في السقيفة تثير الكثير من الاسئلة الحساسة دون جواب لحد الآن. فكيف تم توزيع الادوار السياسية تلك؟ وما هو المسوغ الشرعي لذلك؟ وما هو المقياس فيه؟

5 — مقدار العداوة والرفض والتحدي والاحتجاج من قبل سعد بن عبادة من جهة في مواجهة بعض رموز قريش من جهة اخرى يثبت ان تلك القضية بينهما كانت لا تقبل حلاً وسطاً. وكذلك كان موقف الزبير بن العوام والحباب بن المنذر.

6 — كان موقف علي (ع) موقفاً شريفاً ينم عن عصمته وامامته وشرفه الاعلى في الدين. فقد احتج عليهم احتجاجاً شرعياً بان لا يُخرجوا سلطان محمد (ص) عن داره — اي عن اهل اللولاية — وذكرهم بانهم سلبوا الولاية غصباً من اهل البيت (ع).

ولكنهم احتجوا بصغر سنه (ع) وعدم معرفته بالامور، الا انهم تناسوا انه هو الذي خلفه رسول الله (ص) في تبوك على المدينة، وبلغ عنه سورة براءة، واوصى به يوم الغدير. واحتج عليهم بان اهل بيت النبوة (ع) ليس فيهم الا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله (ص)... وهي صفات كافية للادارة الدينية للمجتمع الاسلامي.

7 — كان موقف الانصار موقف ذهول، لانهم في البداية وبعد ان تنكروا لاهل البيت (ع) طمحووا بالخلافة لانفسهم. وعندما تبين لهم دهاء قريش السياسي استسلموا لها. وتظاهروا بانهم لم يسمعوا احتجاج علي وفاطمة (عليهما السلام).

### السقيفة والسياسة

كانت الاجواء السياسية الطاغية على اجتماع السقيفة مدعاة لدراسة الفلسفة السياسية عند العرب، وطبيعة الضغوط القبيلة التي لا ترى الا السلطة وشهوتها مداراً للحياة الاجتماعية. ولذلك ولدت السقيفة صراعاً لم يسبق له مثيل في تاريخ العرب الاسلامي، بقيت آثاره الى اليوم. بل تبقى آثاره السلبية الى يوم القيامة.

### 1 — السقيفة : المؤتمر وجدول الاعمال

كان اجتماع السقيفة الذي تم خلال الفترة التي انشغل بها علي (ع) وبنو هاشم بتجهيز النبي (ص) ودفنه، مؤتمراً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. فقد كان اجتماعاً لافراد جاءوا بدعوة — على الاغلب

تأريخياً — من اجل مناقشة هدف محدد في فترة زمنية قصيرة جداً. وكانت آلية ذلك الاجتماع اعطاء صلاحية قانونية للبرنامج السياسي المطروح وهو خلافة رسول الله (ص)، وطريقة مثلى لاقناع الاطراف الاخرى بصلاحية ابو بكر، حتى لو استخدمت القوة في ذلك.

وكان المؤتمر ايضاً، وبحضور شخصيات مثل عمر وابو بكر وابو عبيدة والحباب بن المنذر وسعد بن عباد وبشير بن سعد ومجموعة من الانصار والمهاجرين، ساحة عمل لتوحيد الآراء بابعاد الوصي الذي عينه رسول الله (ص) وهو علي (ع) والتمهيد لخلافة ابو بكر باعتباره احق الناس بهذا الامر.

### خصائص اجتماع السقيفة :

ولاجتماع السقيفة خصائص مهمة لا بد من ملاحظتها، وهي :

اولاً : جمع اجتماع السقيفة كل الافراد الذين كانوا يطمحون سياسياً للامارة. والذي كان يوحدهم في الاجتماع ويجمع شملهم هو الامل بالفوز بذلك المقعد الحساس، وهو مقعد الخلافة والامارة. ولذلك تكررت الفاظ تدلّ على ذلك الامر، منها : «انتم احقّ الناس به»، و«منا امير ومنكم امير»، و«نحن الامراء وانتم الوزراء». ولذلك فافهم تناسوا خطبة رسول الله (ص) يوم الغدير القائلة بخلافة علي (ع) : «من كنت مولاه فعليّ مولاه»<sup>13</sup>، وغزوة تبوك : «اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي»<sup>14</sup>. ولم يبرز في ذلك الاجتماع الصاحب ولا صوت واحد يذكرهم بما قاله لهم رسول الله (ص) في غددير خم قبل سبعين يوماً فقط. وهذا يعني بالنتيجة ان اجتماع السقيفة كان يحمل رباطاً يربطهم جميعاً وهو رباط الطموح الشخصي بالخلافة. فكان كلٌ يتمناها لنفسه.

ثانياً : لم يكن اجتماع السقيفة اجتماعاً تشاورياً بين الخبراء يؤدي الى الخروج بمبنى عقلائي. ولو كان كذلك لاسترجعوا في اذهانهم وصايا رسول الله (ص)، واقرروا ولاية علي بن ابي طالب (ع). ولكنه كان اجتماعاً من اجل السيطرة والتحكم بالمقدرات، ولذلك رُفِعَ السيف اكثر من مرة، وأُسكِت اكثر من فرد، وتهاوت الافكار من اقصى الطموح بالخلافة للانصار الى مستوى : منا امير ومنكم امير، الى القبول بخلافة المهاجرين. وكان اجتماعاً يتناغم فيه زعماء قريش بعضهم لصالح بعض. وكان الحباب بن المنذر اشدّهم في المعارضة المسلحة وكذلك سعد بن عباد. بينما اخذ الحسد بشير بن سعد مأخذه منه.

ولو استعرضنا ذلك الاجتماع سريعاً، لادررنا بان القضية كانت تمثل صراعاً من اجل اشغال المقعد

<sup>13</sup> (أسد الغابة) ج 3 ص 307، ج 5 ص 205.

<sup>14</sup> (الخصائص) ص 14. رواها النسائي باسناده عن سعد بن ابي وقاص.

الاعلى في الدولة الدينية التي اسسها رسول الله (ص). فلا بد اذن من تلخيص ما دار في الاجتماع عبر النقاط التالية :

\*\*سعد بن عباد (من الانصار) :

- 1 — انتصاره للانصار ومدحه اياهم.
- 2 — ادانته للمهاجرين ووصمهم بانهم قلة مستضعفة في وطنها وغير قادرة على دفع الاذى عن رسول الله (ص).

3 — زعمه بان الانصار احق بالخلافة من المهاجرين.

\*\*دخول عمر، وابو بكر، وابو عبيدة الجراح.

\*\*ابو بكر :

- 1 — انتصاره للمهاجرين ومدحه اياهم.
- 2 — مدحه الانصار، ولكنه وضعهم بموضع الوزراء بينما وضع المهاجرين بموضع الامراء.
- 3 — دعوته بالخلافة لابي عبيدة الجراح او عمر.

\*\*عمر وابو عبيدة :

1 — انتصارهما لابي بكر وطرح اسمه على مستوى الامارة والخلافة.

\*\*الانصار :

- 1 — موافقتهم على ما قاله عمر وابو عبيدة وابو بكر.
- 2 — تحذيرهم ممن يأتي بعدهم من امراء قريش.
- 3 — اقتراحهم يجعل امير من الانصار وامير من المهاجرين.

\*\*ابو بكر :

- 1 — انتصاره مرة اخرى للمهاجرين ومدحهم.
- 2 — تلميح له لاول مرة بافضلية المهاجرين على الانصار لانهم اول من عبد الله تعالى في الارض.
- 3 — مدحه الانصار، وتكراره بان المهاجرين هم الامراء والانصار هم الوزراء.

\*\*الحباب بن المنذر (من الانصار) :

- 1 — تصريحه الخطير بان المهاجرين تحت ظل الانصار وفي خيمتهم.
- 2 — اقتراحه بان القوم اذا رفضوا الانصار فالبديل هو : منا امير ومنهم امير.

\*\*عمر :

1 — معارضة فكرة «منا امير ومنكم امير»، وتثبيت افضلية المهاجرين على الانصار.

\*\*الحباب بن المنذر :

1 — مخالفة عمر صراحة والاستخفاف به.

2 — طرح فكرة «إجلاء الانصار» من المدينة لأول مرة.

3 — طرح فكرة احقية الانصار في الخلافة.

4 — اول بوادر استخدام لغة القوة (السيف).

\*\*عمر :

1 — تعذر عمر بان منازعة كانت بينه وبين الحباب، فنهاه النبي (ص) عنه.

2 — ملاسنة بين عمر والحباب.

\*\*ابو عبيدة :

1 — تحذير شديد للانصار.

2 — موقف ثابت يجنب المهاجرين.

\*\*بشير بن سعد (من الانصار):،

1 — حسد زميله سعد بن عبادة.

2 — تثبيت حق قريش والمهاجرين في الخلافة.

3 — تحذير قومه «الانصار» من مخالفة المهاجرين.

\*\*ابو بكر :

1 — يطرح اسم عمر وابي عبيدة مرة اخرى.

2 — عمر وابو عبيدة يقدمانه للخلافة.

3 — يبايعه بشير بن سعد، ثم عمر وابي عبيدة.

\*\*الحباب :

1 — اول اشتباك مسلح، ويُترع منه السيف.

2 — يرفض البيعة، ويتنبأ برجوع المشاعر الجاهلية الى الابناء.

\*\*سعد بن عبادة :

1 — رفض البيعة، وعمر يهدد بقتله.

2 — يبقى معارضاً لهم حتى مات.

وهذا العرض المختصر يُظهر بان نظريات المناصفة في الحكم او الاستفراد بالسلطة لطرف دون آخر كانت تطرح بكل قوة. وهو امرٌ غريب، لان موضوعاً خطيراً كهذا كان ينبغي ان يتم فيه التشاور، لا ان تكون لغة القوة والسيف هي السائدة.

ثالثاً : لم يكن جدول اعمال السقيفة تبادل الآراء مهدوء من اجل الوصول الى افضل الحلول، على افتراض وجود مشكلة يُراد حلُّها. بل ان الجو النفسي والفكري كان جو ارهاب وتحدي وعنف لفظي مثله قول عمر لسعد بن عباد : اقتلوه قتله الله. او قول عمر للحباب بن المنذر : اذاً ليقتلك الله ! فاجابه بحدة : بل اياك يقتل. ومحاول الحباب بن المنذر من المصير القائم على احفاده من خلافة قريش وممن يأتي بعدها.

وعلى اية حال، فان الاجتماع لم يغيّر رأياً من الآراء، بقدر ما جعل اصحاب الدهاء السياسي يسيطرون على الطرف الآخر من الذين لم يكونوا يملكون القوة اللازمة في لوي عنق الطرف الاقوى.

ولو كان اجتماعهم اجتماع دين وتقوى في الصورة والمحتوى، لتوصل الى اتفاق مبدئي في الالتزام بوصايا رسول الله (ص). ولكن النتيجة كان مخططاً لها قبل الاجتماع، وهي تجاهل دور الوصي (ع) تماماً والتركيز على الخليفة المنتخب. ولذلك كان النقاش يدور حول الامارة والوزارة وتبادل الآراء، ولم يكن محوره اقوال رسول الله (ص) ولا فعله حول الامامة والولاية اصلاً.

رابعاً : كان اجتماع السقيفة مؤتمراً جمع اغلب اطراف الصراع الاجتماعي في عصر الاسلام عدا بني هاشم، فقد عزلوا تماماً عن مجرى الاحداث. فقد حضر الاجتماع في سقيفة بني ساعدة : سعد بن عباد شيخ الانصار، وبشير بن سعد من سادات الخزرج، وبعضاً من رؤساء الاوس كأسيدي بن حضير، وابو بكر وعمر وابو عبيدة من قريش. ثم اجتمعت بنو امية على عثمان، واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن بن عوف. وكان بنو امية وبنو زهرة على وفاق مع ما حصل في السقيفة. وكان هؤلاء جميعاً يمثلون التيارات المختلفة في المدينة، وهو تيار الانصار «الاوس والخزرج» والمهاجرين «قريش وبني امية». ولم يعرف تأريخياً : هل حضر المنافقون سقيفة بني ساعدة في ذلك الوقت ام لا ؟

وكان ذلك التخاطب جزءاً من الاتصال اللفظي بين اطراف الصراع. فقد كان تقسيماً للادوار، فكان عمر اكثر الافراد اندفاعاً في اقناع الناس على بيعه ابو بكر. وقد وصف الامام (ع) هدفه بالقول : «احلب حليباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً»<sup>15</sup>. وكان بشير بن سعد يطمح الى شيء من تلك الامارة، ولذلك كان يقدم لهم النصح والمشورة. وكان ابو عبيدة — بدهائه السياسي — يحاول ابعاد علي (ع) عن خلافة رسول الله (ص) بالقول : «ان ابا بكر اقوى على هذا الامر منك». بينما وصف المغيرة

<sup>15</sup> (الامامة والسياسة) ج 1 ص 29.

بن شعبة ابا عبيدة الجراح بانه من دهاة قريش<sup>16</sup>.

خامساً : أريد لاجتماع السقيفة ان يُؤسس لاجواء ذهنية اجتماعية لتقبل إبعاد الامام (ع) عن الخلافة والقبول بخلافة الخليفة الجديد. واجتماعُ من ذاك القبيل جمع تيارات سياسية واجتماعية مختلفة يمكن ان يحقق هذا الهدف. خصوصاً وانه حصل خلال انشغال الامام (ع) بتغسيل النبي (ص) ودفنه. فقد كان ابعاد علي (ع) وبنو هاشم مقصوداً، حتى يتم لهم ما ارادوا. وكان حضور قريش مخططاً، ولم يكن امراً عفويّاً.

الا ان اللافت للنظر ان علياً (ع) عندما كان يكلم الانصار او عندما كانت فاطمة الزهراء (ع) تكلم نساءهم، كانوا يتظاهرون بانهم لو سمعوه في البداية لما اختلف عليه (ع) اثنان. وهذا يقرب احد احتمالين :

أ — الاحتمال الاول : ان وفاة رسول الله (ص) قد اذهلتهم، وانستهم ما اوصاهم (ص) به، وهو بعيد. لان المصيبة العظيمة تجعل الامة تفكر بما قاله قائدها قبل وفاته، لا ان تنسى المبادئ التي جاء بها.

ب — الاحتمال الثاني : خلال مرض رسول الله (ص) وانتظار جيش اسامة اوامر التحرك، قامت بعض اطراف الصراع بعمليات منظمّة لتهيئة الاجواء الذهنية لإبعاد الناس عن ولاية علي (ع). والا، كيف يُفسّر سكوت الناس عن ولاية الامام (ع) ولم يكن بين غدير خم (18 ذي الحجة) واحداث السقيفة (28 صفر) الا سبعون يوماً. فهل يستطيع الناس ان ينسوا ما قاله لهم خاتم الانبياء (ص) واوصاهم به خلال شهرين وعشرة ايام ؟ مع انهم كانوا يحفظون عنه (ص) الحديث في الامور الجزئية الثانوية فضلاً عن الامور الرئيسية.

سادساً : هياً رسول الله (ص) لأسامة جيشاً كبيراً قبل ايام من وفاته (ص)، وكان في الجيش وجوه الانصار والمهاجرين، وفيهم عمر وابو بكر. فكيف التئم جمع السقيفة في يوم وفاة رسول الله (ص) وهو لا يزال مسجى لم يدفن بعد ؟ الم يكن من وظيفة سعد بن عبادة وبشير بن سعد وابو عبيدة وابو بكر وعمر والحباب وغيرهم الذهاب الى جيش اسامة ؟ لقد سمعنا علل عمر وابو بكر وقرآناها، فما هي علل الآخرين ؟ وهي مجموعها تجعل الانسان يشك في مصداقية هؤلاء الذين كان يأمرهم رسول الله (ص) بالذهاب الى الجيش، ويتعللون بمختلف العلل للبقاء في المدينة بانتظار موت النبي (ص). فاين شرعية اجتماع السقيفة من كل ذلك ؟

## 2 — السقيفة والصراع الاجتماعي والسياسي:

وعبرت السقيفة عن مقدار الصخب السياسي الذي يولده اجتماع يفتقر الى المبادئ الدينية في التعامل مع الاحداث الكبرى كحادثة وفاة النبي (ص) والولاية من بعده. فمحدودية المقاعد العليا لادارة امور الامة

<sup>16</sup> (تهذيب الكمال) - المزي ج 9 ص 364.

جعل القوم يتبارون في لوي عنق بعضهم الآخر من اجل الفوز بتلك المقاعد، محاولين حذف الطرف الديني الاول في المعادلة الاجتماعية وهو علي بن ابي طالب (ع) وصي رسول الله (ص). قال الامام (ع) متحدثاً عن مرحلة وفاة رسول الله (ص) وما بعدها: «فلما مضى عليه السلام، تنازع المسلمون الامر من بعده»<sup>17</sup>. وهذا التنازع يعبر عن عدم تحكيم الدين في قضية كبرى كقضية الولاية من بعده (ص). وهنا لابد من دراسة هذا التنازع على الصعيد النفسي، والسياسي، والاجتماعي، والشخصي.

#### أ — الصعيد النفسي :

والصراع النفسي يعكس حالة يعيشها الانسان، يتجاذبه فيها دافعان كل يدفعه الى اتجاه معاكس. وكان واقع السقيفة يعبر عن تلك الحالة، فكل من حضر ذلك الاجتماع كان يعيش معركة نفسية بين اتجاهين متضادين. الاول : ان يكون هو المرشح للخلافة، او على الاقل ان يكون المرشح من طائفته. والثاني : هو ان يتنازل لغيره — الاقوى — لمبايعته. وكان سعد بن عباد طامحاً لولاية الامر، الا ان قوة الطرف الثاني المتمثل بقريش جعلته يرضخ للامر الواقع. وكان بشير بن سعد يتمناها لنفسه ولا يريد لها لزميله سعد بن عباد، فتنازل الى ابي بكر. وكان عمر وابو عبيدة يتمنونها لنفسيهما، الا ان طريقتهما كان لابد ان يمر بابي بكر. والحباب بن المنذر كان يريد ذلك، ولكنه أجبر على التراجع وهكذا.

وهذا الصراع النفسي لم يكن ليمثل الدين او قيمه السياسية باي حال من الاحوال. ذلك ان الدين يربي الانسان على التضحية والايثار، وإذلال المؤمن نفسه لآخيه. وبكلمة، فان الدين يلغي الصراع النفسي عند الانسان. لانه يذكره دائماً بالجزاء الالهي والقرب من المولى والنعيم الابدي الدائم. ولو كان الاجتماع دينياً لكان اجتماعاً اخوياً قدّم كل طرف للآخر كل العون اللازم لتسلم المسؤولية الاجتماعية. وقد قال تعالى في محكم كتابه : (انما المؤمنون اخوة...) <sup>18</sup> ، و (...اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين...) <sup>19</sup> .

ولكن حدّة المواجهات اللفظية بين المجتمعين في سقيفة بني ساعدة لم تبق شكاً بان الجو السائد في ذلك الاجتماع كان يوّلّد حالات من القلق والحذر من المجهول عند البعض. وهو بدوره يولد صراعاً نفسياً داخل الانسان بين التكلم والسكوت. فقول الحق له ثمن باهظ في تلك الظروف الحرجة. وقد تكون حياة الانسان ثمناً. وهنا ضاع الحق في ذلك الاجتماع الصاحب الذي كان هدفه تكريس الخلافة والسلطة في طرف دون آخر.

<sup>17</sup> (فج البلاغة) — كتاب 62 الى اهل مصر ص 580.

<sup>18</sup> سورة الحجرات: الآية 10.

<sup>19</sup> سورة المائدة: الآية 54.

فالأفراد الذين تكلموا باسم الانصار او باسم المهاجرين، انما تكلموا بسبب الميول التي كان يولدها الانتماء للجهة التي كانوا ينتمون اليها ولم يكن الدين هو المقياس. بل لو كان الدين هو المقياس لكان لذلك الاجتماع وضعاً آخر.

#### ب — الصعيد السياسي :

ولاشك ان للعمل السياسي صراعه المعروف. ذلك ان المقاعد العليا التي يطمح الناس في حيازتها محدودة وقليلة في العدد. فالصراع بين التيارات المختلفة نحو السلطة امرٌ طبيعي في مجتمع تحكمه الاعراف الاجتماعية التي تقرر طبيعة الازعان للحاكم اياً كان منهجه. ولكن المجتمع الديني — نظرياً على الاقل — يرفض ذلك اللون من الصراع، لان استلام الحكم ينبغي ان يتم عن طريق التعيين عبر كفاءة استثنائية سُميت بالعصمة في الدين.

ونظرة علمية للنشاط السياسي في السقيفة وما دار فيها، يدعونا للاخذ باحد احتمالين، وهما : الاحتمال الاول : ان النقاش الذي دار يومئذ في سقيفة بني ساعدة كان منسجماً مع اهداف الدين ومتكاملاً مع طموحاته في استمرار الطريق الشرعي. وهذا الاحتمال يكذبه الواقع الذي قرأناه للتو، ويكذبه ايضاً طبيعة النقاش والحدة في التعامل مع الاطراف المشاركة.

الاحتمال الثاني : ان وضع السقيفة كان يعبر عن عمق الصراع السياسي بين الفئات التي حضرت الاجتماع، وهذا الاحتمال اقرب الى الواقع منه الى الاحتمال الاول. ذلك ان العلاقات قد تقطعت بين بعض الاطراف، وانسحبت تلك الاطراف من العملية بكاملها، كما في حالة سعد بن عباد، والحباب بن المنذر وغيرهم، مع ان موضوع بني هاشم لم يُطرح اصلاً في الاجتماع.

وكأنه يعني ان حدة الصراع كانت تقتضي ان يكون هناك اتفاقٌ على عدم الاتفاق. بمعنى ان العلاقة المبدئية بين القوى الفاعلة في المجتمع لم تكن علاقة انسجام وقرار بمبدأ واحد، فيما يخص الولاية على اقل التقادير. بل ان الفهم السائد في اجواء السقيفة كان يقتضي الصراع ثم كبح جماح الطرف الاضعف. ولم يكن يقتضي التفاهم على وصية رسول الله (ص) مثلاً، التي كانت اصل الانسجام الاجتماعي المفترض في المجتمع المتدين.

ومن الطبيعي، فان تجمع ذلك العدد من الطامحين للمقاعد السياسية في تلك البقعة الصغيرة وفي ذلك الزمن القصير الحساس، كان مدعاةً لصراع اجتماعي وعدم انسجام مبدئي حول من يخلف رسول الله (ص). فقد كان لكل طرف من تلك الاطراف اهداف ووظائف غير قابلة للاندماج مع وظائف الآخرين، في خليط

سياسي مضطرب وغير متجانس. فبينما كان الامام (ع) يسعى من اجل ديمومة الشريعة وتطبيق احكام السماء في المجتمع الديني، كانت الاطراف الاخرى تحاول الفوز بالسلطة — باي ثمن — على حساب طموحات الدين.

ولا نستغرب ان تكون هناك علاقة ما، بين القوى المتصارعة، مهما كان الصراع مخرباً. فلا نستغرب ان يستشير الخليفة الاول او الثاني — لاحقاً — علياً (ع) في امور الشرع والدولة عندما كانا يُمتحنان في ذلك. فالصراع هنا لا يكسر جميع الجسور بينهم. لانه لو تكسرت الجسور، فهذا يعني ان حرباً اهلية ستشتعل. وهو الذي قال (ع) : «فرايتُ راجعة الناس قد رجعت.....»<sup>20</sup>. ولكن ابقاء الجسور بين الاطراف المتصارعة قائماً يعني السيطرة بطريقة ما على ذلك الصراع. بينما تكسرت تلك الجسور لاحقاً في حروب الجمل وصفين والنهروان.

### شروط الصراع :

وكما ان للحكم الديني شروطه الموضوعية وعلله السماوية، فان للصراع السياسي شروطاً موضوعية ايضاً، منها :

**اولاً : التنافس :** فلو لم تكن هناك رغبة قوية في تحقيق الاهداف المرسومة من قبل جميع الاطراف، لما حصل التخاصم والصراع. فالتنافس هو مبدأ الصراع، عندما تكون الاهداف المتعاكسة لا تقبل التمازج ولا الاندماج ولا التوحد تحت راية واحدة. والتنافس في بعض الحالات يؤدي الى الخير، كما في قوله تعالى : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم...)<sup>21</sup> والمسارعة تقتضي التنافس. وقوله تعالى : (...وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)<sup>22</sup>. فلا يمكن اعتبار كل صور التنافس صراعاً. بل ان التنافس على الخير يؤدي الى اكمال العمل، والاسراع في اتمامه على الاقل.

ولكن المشكلة تتعمق عندما يكون التنافس بين اطراف لا يريد بعضها الخير للآخر، فتصبح المنافع الذاتية والمصالح اهداف تدفع الاطراف للتخاصم والتنازع.

ويعبّر الصراع الاجتماعي الذي حصل في السقيفة عن وضع خاص لمنافسة كانت فيها الاطراف المتصارعة تعلم ان اهدافها المتعاكسة غير قابلة للاندماج، وتعلم ايضاً ان المواقع السياسية التي سوف يحوز عليها طرف دون آخر سينفرد بها الطرف المنتصر، وستبقى كذلك دون قابلية على اندكاك مصالح الطرف

<sup>20</sup> (فج البلاغة) — كتاب رقم 62 ص 580.

<sup>21</sup> سورة آل عمران: الآية 133.

<sup>22</sup> سورة المطففين: الآية 26.

المنتصر مع مصالح الطرف المنهزم.

**ثانياً : الاهداف المستقلة :** ان التنافس الخارجي بين الافراد — اذا سئلب عنه مفهوم الخير — يعبر عن حرب بين الضمائر ايضاً. ذلك ان الاهداف المستقلة تتصادم، ويحاول كل طرف انهاء طموحات الطرف الآخر في السلطة والرياسة. خصوصاً اذا كانت المبادئ التي تؤمن بها تلك الاطراف متناقضة تماماً وغير قابلة للتعايش. ومن هنا نفهم ان الاحداث التي اعقبت وفاة رسول الله (ص) تشير الى ان الامور كانت تسير بهذا الاتجاه، فلم تكن هناك اهداف مشتركة تعمل على تحقيقها الاطراف المختلفة.

فلم تكن — في الصورة الكلية — مساحة للتفاهم والمشاركة. نعم، كانت هناك امنيات للمشاركة في السلطة والحكم والتعاون في ذاك المجال. وقد مثلها — بوضوح — رأي الاوس في السقيفة وفيهم أسيد بن حضير : لئن وليتموها سعداً عليكم مرة، لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة، ولا جعلوا لكم نصيباً فيها ابداً. فقوموا فبايعوا ابا بكر. فقاموا اليه فبايعوه. فكأن الاصل في الفضيلة ان يكون لهم في السلطة نصيباً. وإن لم يكن اليوم فليكن غداً.

وهذا يعني انهم كانوا يفهمون اساليب اللعبة السياسية حتى على اختلافهم. بمضمون الاحداث، ولكن الاطار العام كان متفق عليه. وكان الامام (ع) واعياً الى ذلك. ولذلك قال (ع) مخاطباً عمر عندما جادله بالبيعة لابي بكر : «احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً». ولذلك كانت رؤوس قريش تطمح لوظائف عليا في الادارة، وقد قرأنا انهم بعثوا الى عكرمة بن ابي جهل وعمومته الحارث بن هشام وغيرهم فاحضروهم، وعقدوا لهم الرايات الى نواحي اليمن والشام ووجهوهم من ليلهم. وبعثوا الى ابي سفيان فارضوه بتولية يزيد بن ابي سفيان.

فاللغة السياسية التي اقر عليها المجتمعون في السقيفة كانت تمولهم بالوظائف الاجتماعية والادوار السياسية وامتيازات السلطة. وقد كان القسم الاعظم من فهم تلك العملية السياسية يرجع الى الاعراف السياسية القبليّة عند العرب في الدهاء والمكر وفهم المتغيرات. فكانت الرواسب السياسية لما قبل الاسلام عاملاً من عوامل فهم قواعد اللعبة، دون الاخذ بالفهم الديني الجديد في الولاية والحاكمية الشرعية.

**ثالثاً : آليات التفاهم :** ان اهم آلية في تعامل الرؤوس خلال اجتماع السقيفة هو استخدام القوة والتهديد حتى يرضخ الطرف الآخر صاغراً لارادة الطرف الاقوى. وهنا كان الاتفاق نابعاً عن الاكراه والعنف، لا عن الاقناع والرضا. وقد انتصرت قريش وارغمت الانصار وغيرهم بقبول الواقع الجديد.

ثم استخدمت قريش شتى اساليب الضغط والاكراه ضد علي (ع) وبني هاشم من اجل حملهم على الرضوخ لمطالب الوضع الجديد. ولم يكن امام الامام (ع) الا المقاومة السلمية ضدهم، ذلك انه (ع) لو

استخدم اسلوب المقاومة المسلحة — وهو بطل الابطال — لدخل في حرب لا تحمل شروطاً موضوعية، وغير قابلة للتجانس مع مجتمع حديث عهد بالدين.

ولذلك قال (ع) : «اما والله لقد تمصصها (لبسها كالقميمص) فلان، وانه ليعلم أن محلي منها القطب من الرحا، ينحدر عني السيل، ولا يرقى الي الطير، فسدت دونها ثوباً (اي ارحيت دونها ثوباً)، وطويت عنها كشحاً (ملت عنها)، وطفقت أرتي بين ان أصول بيد جذاء (مقطوعة)، او اصبر على طخية (ظلمة) عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت ان الصبر على هاتا أحجى (اي ألزم)، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً (ما يعترض الحلق من عظم ونحوه)...»<sup>23</sup>.

ويفهم من وقائع السقيفة اهم اتفقوا — جبراً او اختياراً — وبغياب بني هاشم على إبعاد اهل بيت النبوة (ع). ولذلك فقد توحدوا ظاهراً تحت راية الخلافة، خوفاً من ان ترجع الولاية الشرعية الى اهلها فيصبحوا تابعين لا متبوعين. ولم تكن هناك حاجة لكتابة آليات التفاهم، بل انما كانت تتخذ اشكالاً مختلفة مثل : اقتله قتله الله، او اتخاف منا يا حباب ؟ ، او عقد الرايات للذين تعاونوا معهم في انجاز الامر، او تولية من كانوا يرونه يستحق الولاية على الامصار.

رابعاً : تغييب القانون : ان وظيفة القانون او التشريع في مجتمع ما هو منع الصراع او حل مشكلته او تحديده بحدود ضيقة. وذلك يتم بطرق عديدة لنظام العقوبات الجنائية، او نظام الاخوة الدينية، او نظام الوصية والاستخلاف الشرعي. وفي ضوء ذلك نفهم تأكيد رسول الله (ص) على الاستخلاف في غزوة تبوك ويوم الغدير وخلال مرضه (ص) وتكراره الارادة النبوية — التي هي امتداد للارادة الالهية — بولاية علي (ع). وهذا يعني ان التشريع الاسلامي حاول منع الصراع الاجتماعي المتوقع على قضية الولاية والحاكمة. ونحن نفهم ان التشريع يفترض بان المكلفين لا بد ان يطبقوا التكاليف الشرعية، وبضمنها الولاية الشرعية التي اعلنتها رسول الله (ص). فالشريعة قانون الهي ملزم لجميع الاطراف، كما قال تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان يكون لهم الخيرة من امرهم)...<sup>24</sup>.

ويمكننا عدّ القانون الشرعي اداة رابطة بين الوسيلة والهدف. فالولاية الشرعية التي اعلنتها رسول الله (ص) في غدير خم هي وسيلة لهدف اسمى وهو الامتثال لامر الله سبحانه وبناء المجتمع الديني العادل الذي تطبق فيه الحدود وتقام فيه العدالة الحقوقية والاجتماعية بين الناس. ولكن القانون الشرعي في تلك المسألة الخطيرة كان قد غُيَّبَ في اجتماع السقيفة، وبذلك اوجدوا للصراع الاجتماعي بين الحق والباطل شروطاً

<sup>23</sup> (نهج البلاغة) — خطبة 3 ص 35.

<sup>24</sup> سورة الاحزاب: الآية 36.

موضوعية من اجل ان يستمر الى يوم القيامة.

### ج - الصعيد الاجتماعي :

ويمثل الصراع على الصعيد الاجتماعي معركة محتدمة حول الوجود والعدم. فليس من اهداف الاطراف المتصارعة فرض اعراف معينة تتبناها فحسب، بل ان من اهداف الصراع محاولة الطرف القوي حذف الطرف الآخر من المعادلة الاجتماعية. ولذلك حاولت قريش حذف علي (ع) بكل ما يمثله من قيم ومبادئ وبطولة واخلاق وفهم للشريعة. لان متطلبات بقائها في السلطة كان يقتضي ذلك. ولذلك، فاهم انكروا لابي تراب (ع) كل فضيلة. والى ذلك اشار (ع) في احدى خطبه: «اللهم اني استعديك على قريش ومن أعائهم! فإنهم قطعوا رحمي وصعروا عظيم منزلي، واجمعوا على منازعتي أمراً هو لي. ثم قالوا: ألا إن في الحق أن تأخذهُ، وفي الحق ان تتركهُ»<sup>25</sup>. ولولا طموحات القوم السياسية لما اصبح الصراع ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية عند المسلمين. حتى ان السلام المؤقت بين قريش وائمة الهدى اصبح - في واقع الامر - شكلاً من اشكال الصراع بين الحق والباطل. فكلما انفسح المجال لظهار الحق والتعرض للباطل، كان ذلك. واصبحت التركيبة الاجتماعية للمسلمين منذ واقعة السقيفة ولحد اليوم تركيبة مبنية على اساس صراع الضمائر بين الحق والباطل. فالضمير الشيعي الامامي اصبح مرهفاً ييكي مظلومية علي (ع)، ومظلومية الزهراء (ع) ومظلومية بقية الاوصياء (ع)، بينما بقي ضمير الاغلبية الصامتة جاهلاً بشروط الصراع وظروفه التاريخية.

### مباني الصراع الاجتماعي :

ولم يكن الاحتدام حول السلطة والرئاسة ناشئاً عن فراغ، بل كان له مباني فلسفية واجتماعية يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

اولاً : المبنى الذاتي للصراع. ويُقصد بالمبنى الذاتي ان فكرة العداوة والكره والبغض انما هي امور ذاتية، لكنها تتدخل بشكل مباشر في تصميم صورة الصراع مع الطرف المقابل. ويتعبير آخر ان قريشاً كانت تكرهُ علياً (ع) لانه افجعهم في الجاهلية، فقتل آباءهم واحوائهم، ولا يمكن لهم ان يغفروا له ذلك، بعد عشرة اعوام فقط من معركة بدر الكبرى. فقواعد العداوة المتأصلة عند قريش ضد بني هاشم وبطولتهم الفاتقة ضد المشركين والتي تمثلت بعلي (ع) وحمزة وابو طالب والعباس وجعفر ونحوهم، كانت كافية لبناء صرح من

<sup>25</sup> (فجح البلاغة) - خطبة 172 ص 303.

العداء والبغض ضدهم. ولاشك ان الصراع لا يتوقف عند المبنى الذاتي بل هناك مبنى موضوعي وهو حب السلطة والسيطرة على مقدرات الدولة العظيمة التي انشأها الاسلام.

والمبنى الذاتي للصراع — وهو كره علي (ع) — يجعل ذلك الصراع محطة لتصادم المشاعر المتعاكسة. فقد كان كره اهل البيت (ع) متأصلاً في نفوس قريش لحجم ما قُتل من مشركيهم. فقد قتل علي (ع) في بدر نصف ما قتله جيش الاسلام، وقتل في أحد ابطال قريش، وقتل في الاحزاب عمرو بن عبد ود، وقتل العديد منهم في معركة ذات السلاسل وغيرها مما ذكرناه في الصفحات الماضية.

ثانياً : المبنى الاثري للصراع. وهو ان لصراع السقيفة آثار على تركيبة المجتمع، على الصعيد الديني والسياسي والمالي. ولذلك فقد مزقت السقيفة وحدة الامة، وفصلت الحاكمية على المسلمين الى دينية شرعية ودينيوية مخالفة للدين ومفاهيمه العظيمة في العدالة والانصاف.

ثالثاً : المبنى الفكري للصراع. ولكل صراع مبنى فكري تستند عليه الاطراف المتناوثة. وكلما كانت المباني الفكرية اكثر تبايناً وتعاكساً كان الصراع اشد واقوى. وقد كان الخلاف جوهرياً بين الطرفين. فأهل البيت (ع) يؤمنون بالعصمة والامامة، وقريش تؤمن بالقيادة الدينيوية او الخلافة القرشية. ويؤمن اهل البيت (ع) بالنص والوصية من النبي (ص)، بينما تؤمن قريش باللعبة السياسية. ويؤمن اهل البيت (ع) بتحكيم الدين في كل مورد من موارد الحياة، بينما كانت قريش تهتم بالسلطة والرئاسة.

#### د — صراع المصالح :

كيف يمكن الاطمئنان بان المكلف باعلى المناصب في الدولة، وهو الخليفة غير المعين من قبل النبي (ص)، يؤدي وظيفته دون ملاحظة مصالحه المالية الخاصة به ؟ او بتعبير آخر كيف يمكن ضمان اخلاص الفرد المكلف بالوظيفة دون حيازة امتيازات السلطة ؟

#### امتيازات السلطة :

لاشك ان السلطة تفتح ابواباً لامتيازات واسعة في الملكية والخدمات والطاعة من قبل الناس. وتفتح ابواباً لتقسيم المناصب الحكومية كمنصب قائد الجيش او ولي الاقليم او جامع الخراج. فاذا لم تكن هناك ضوابط دينية لتحديد تلك الامتيازات، واذا لم تكن هناك عين دينية فاحصة يستشعرها الحاكم او السلطان، فان مقداراً هائلاً من الثروة الاجتماعية سوف ينحاز الى جهة الحاكم وحاشيته وافراد عائلته.

والسيطرة على السلطة هي من أكثر الطرق السياسية اماناً في حفظ مصالح الطبقة الحاكمة. واثرت تلك

السيطرة لا يعدُّ — في نظر العرف المحكوم بالسلطة ذاتها — سلوكاً اجرامياً كالسرقة او الرشوة. فالسارق او المرتشي يعاقب ويقطع او يعزر او يسجن. ولكن الفرد الذي يقتحم النظام الاجتماعي على طريقة السقيفة لا يعاقب، لان الجناية مختلفة تماماً عن تلك.

ولو افترضنا ان الحاكم بنى جسراً بين الوظيفة العامة والفائدة الشخصية، لاصبح ذلك الجسر اعظم امتياز له. ذلك ان الحاكم اصبح يحقق كل طموحاته الشخصية في الثروة والخدمات وطاعة الناس. وهذا يسمى بالمصطلح الحديث بـ «الفساد الاداري». ولكن الاسلام جاء ليحارب هذا النوع من الفساد. ولذلك جعل الاسلام الوظيفة العامة، كالخليفة فضلاً عن قائد الجيش او ولي الاقليم او جامع الخراج او من دونهم تتم عن طريق التعيين وليس الانتخاب. ولاشك ان للتعين شروطه الموضوعية فيما يتعلق بالاخلاص والايمان والتفاني ونكران الذات والتعلق بالله سبحانه وترك الدنيا. وقد عاش امير المؤمنين (ع) ذاته ايام خلافته وقبلها ضمن تلك الشروط في الزهد والعبادة والاتصال بالله سبحانه.

وهذا يعني انه جعل وظيفته العامة خالصة لوجه الله وخدمة الجماعة، ولم يضيف الى نفسه اية فائدة. بل كان يجرم نفسه من المباحات. ولكن كان ذلك صعباً على الذين دخلوا حلبة الصراع الاجتماعي في السقيفة واستلموا الامارة لاحقاً، فانهم لم يستطيعوا ان يتخلصوا من دوافعهم ورغباتهم في الفائدة الشخصية.

#### من مصاديق الامتياز :

ولاشك ان نشوء الدولة الاسلامية في المدينة ونمو مواردها العظيمة كان يشجع دهاة العرب على ذلك اللون من الصراع. فقد كانت امتيازات السلطة عظيمة جداً في عيون الافراد، مهما كان وضعهم النفسي او الاقتصادي او الاجتماعي. ومن تلك الامتيازات :

1 — اعتماد الدولة على وظائف الافراد في قيادة الجيش، وادارة الولايات، وتحصيل الخراج، وتنظيم الغنائم ونحوها.

2 — توسع التجارة وبضمنها المواد التي يحتاجها الجيش من سلاح وحيول وطعام وكساء ونحوها. ويكفيك ان تعلم، بان المسلمين عندما افتتحوا افريقيا وجاءوا بغنائمها، اخذ عثمان خمسة فوهبه لمروان بن الحكم. فاي تجارة عظيمة كان يسيّرهما ذلك المبلغ الهائل ؟

3 — القطائع الكبيرة من الاراضي والبساتين التي كانت الدولة تملكها بالانفال او غيرها. خذ فداً مثلاً لذلك. فقد وهبها رسول الله (ص) لابنته فاطمة الزهراء (ع)، ولكن الخليفة الاول سلبها منها، ثم ارجعها الخليفة الثاني — بعد سنين من وفاة فاطمة — لاهل البيت (ع)، ثم اخذها الخليفة الثالث ومنحها

لمروان بن الحكم وبقيت في يد مروان وبنيه الى ان تولى عمر بن عبد العزيز فانترعها وردها الى اهل البيت (ع) ثم اخذها الخليفة بعده، ثم ردها المأمون الى اهل البيت (ع)، وهكذا دواليك. وهذا التداول لقطعة واحدة من الارض يدلُّ على ان ثروتها كانت هائلة.

**4** — بروز بيت المال كمصدر من مصادر الثروة الاجتماعية. فتكسب الثروة في بيت المال كان يعني ان الخلافة ستكون محط الصراع بين الاطراف الطامحة، محاولة عزل القوة الحقيقية التي كان يُراد لها ادارة الامور.

ولو قدّر لامير المؤمنين (ع) بتولي امر الولاية، لاختلف الوضع التاريخي والاجتماعي للامة. فقد كان الامام (ع) :

أ — يحمل جانباً اخلاقياً رسالياً عظيماً، خصوصاً في باب نكران الذات. فقد اثبت خلال حياته مع رسول الله (ص) انه لا يحلم بتحقيق مصلحة مالية او دنيوية ضيقة، بل كان همه تطبيق الدين.

ب — لم يستثمر الامام (ع) اياً من الغنائم التي كانت تقع من نصيبه، بل كان يهبها للفقراء وذوي الحاجة. فاميرٌ من هذا النمط لا يظلم احداً على حساب آخر، ولا يُضيف لنفسه ما ليس له.

ج — عندما هرولت الخلافة اليه (ع) لاحقاً لم يوظفها لمساعدة عشيرته، بل ساوى بين الناس. فهذا اخوه عقيل كان فقيراً وجاء يطلب مالاً حمى له الحديد، وقال له : «اتخاف من نار صنعها الانسان للعبه ولا اخاف من نار فجرها الجبار لغضبه».

اذن نستنتج، من كل ما سبق ذكره، ان مشكلة صراع المصالح مشكلة معقدة لا يمكن علاجها ببساطة. ذلك لان الصراع هو نتاج للمجتمع المتشابك بالعلاقات والمؤسسات والشخصيات، ونتاج حتمي لضعف الايمان بالدين الجديد.

### **3 — الاسلام والضغوط المتقاطعة :**

ان ما تم في السقيفة وما بعدها من ظواهر يمكن ان يُسمى بالضغوط المتقاطعة. ومعنى الضغوط المتقاطعة هو ان اجتماع 28 صفر سنة 11 للهجرة كان يعبر عن استحالة تمازج اتجاهين او دافعين غير قابلين للتمازج اصلاً. فالدافع الاول كان سياسياً بحتاً يطمح بالخلافة والسلطة الدنيوية وكان يمثله اندفاع قريش نحو السلطة وانتصارها على الانصار. والدافع الثاني كان دافعاً دينياً من اجل تثبيت حكم الشريعة واحقاق الحق وإنصاف الرعية وكان يمثله النص النبوي امام الملائم يوم الغدير باستخلاف علي بن ابي طالب (ع) على الامة خلافة شرعية صحيحة.

ويمكننا تقسيم الضغوط المتقاطعة الى قسمين :

الاول : الضغط السياسي الذي كان يريد من الامام (ع) تغيير موقفه المبدي وبدائه التي كان يعتقد بها من قضية الولاية. وكان يمثل قول عمر له (ع) : انك لست متروكاً حتى تبائع. فكان الامام (ع) ثابتاً صلباً في موقفه ذلك، لانه ليس من وظيفته المساومة على امر كان قد حدده له رسول الله (ص) على مرأى ومسمع من الملاء. ولذلك فان الامام (ع) لم يبائع الخليفة الاول تحت اي شرط من الشروط. ونحن نشكك بكل الروايات التي ذكرت خلاف ذلك.

الثاني : الضغط السياسي الذي كان يريد من الامام (ع) المشاركة في الحكم باعتباره جزءاً من المجموعات العاملة في المجتمع. وهذا الضغط لم يحصل اصلاً، لان علياً (ع) لم يكن مجموعة تعمل للاسلام. بل كان يمثل كل الاسلام الذي نزل على قلب محمد (ص). فكان الامر يتطلب اما الاقرار بوصية رسول الله (ص) والاذعان لعلي (ع) بالولاية المطلقة، واما سلب تلك الولاية بالاصل ومحو اسم علي (ع) من كل اجتماع ونقاش يحصل بين الاطراف المتصارعة في ذلك الزمان. والذي حصل هو الامر الثاني، ولذلك لم يرد اسم علي في اجتماع السقيفة الذي انعقد بعد سبعين يوماً فقط من يوم الغدير. بل ان الانصار احتجوا بانهم لو سمعوا كلامه (ع) قبل بيعة ابي بكر لباعوه. ولكن، اين كانت الانصار يوم تبوك، ويوم الغدير، وايام مرض رسول الله (ص) ؟

واحتجت قريش بانه حديث السن ولا يملك تجربة كبار القوم. ولو كان السن هو المقياس، فلم أمر رسول الله (ص) أسامة — الذي كان شاباً حدثاً — على جيش فيه الكثير من فضلاء الصحابة كبار السن ؟

وهنا كانت الضغوط المتقاطعة لاطراف التخاصم الاجتماعي تحاول كسر الاختيار الشخصي وحجب الحرية الفردية في النظر والتفكر وابداء الرأي. فالضغوط السياسية والاجتماعية اذن ضغوط حقيقية في العالم الاجتماعي. هنا بالذات، كسرت تلك الظروف التي خلقتها السقيفة، الحقيقة الموضوعية — وهي ولاية الامام (ع) — عند المسلم العادي. فالفرد البسيط الذي سمع كلام رسول الله (ص) يوم الغدير وآمن بان الولاية ستكون لعلي (ع) واعتبر تلك المسألة حقيقة موضوعية، بدأ — بفضل الضغط الاجتماعي الذي سببته اجواء السقيفة — بتقبل صورة شخص آخر غير الخليفة الذي اوصى به رسول الله (ص). ولذلك بدأ الناس — رويداً رويداً وتحت مطرقة الاكراه والاستغلال — بمبايعة الخليفة الجديد الذي لم يوص به الدين الخفيف اصلاً.

#### تأثير الضغوط المتقاطعة :

لاشك ان للضغوط المتقاطعة تأثيراً عظيماً على الانسان والمجتمع. فتأثيرها على الفرد يتصبّ على تغيير مواقفه العملية السابقة، حتى لو كان يؤمن بها. وهنا ينكسر الاختيار الشخصي وتحقق درجة من درجات الاكراه، فيتبدل سلوك الانسان. وكان ذلك واضحاً بعد السقيفة، فقد تبدلت سلوكيات الافراد تجاه الولاية، ظاهرياً على الاقل، الا من ثبت من القلّة من اصحاب رسول الله (ص) كابي ذر وعمار والمقداد وسلمان ونحوهم. بينما كانت الاكثرية من المسلمين صامتة وغير قادرة على زحزحة الوضع.

اما تأثيرها على المجتمع فيتبلور في الفكرة التالية، وهي : ان نتيجة الضغوط المتقاطعة سوف ينتصر طرف سياسي على الاطراف الاخرى الفاعلة في المجتمع. والطرف المنتصر يحاول جاهداً — وبكل ما اوتي من قوة — التقليل من انجازات الطرف المقابل. ولذلك نفهم اسباب طمس ذكر علي (ع) واهل البيت (ع)، ومحاولة اهماله اهمالاً تاماً خلال السنوات الخمس والعشرين القادمة.

ولكن ينبغي الاستدراك هنا بان تأثير الضغوط المتقاطعة في تلك الفترة لم يكن مؤبداً ولا شاملاً للمجتمع. بل ان التأريخ شهد لاحقاً وبعد عقود عديدة قيام انتفاضات وثورات عديدة حاولت تحطيم الطرف الظالم. في نفس الوقت كانت هناك شريحة اجتماعية قد آمنت بوصية رسول الله (ص) يوم الغدير، وآمنت بعلي (ع) اماماً شرعياً على المسلمين وولياً عليها. وبقت تلك الشريحة صابرة مدة خمسة وعشرين سنة حتى تمياً لها الظرف الاجتماعي المناسب لاعلان الولاية الشرعية مرة اخرى بكل قوة على الملأ، والدفاع عنها بقوة السلاح.

#### 4 — وفاة النبي (ص) وانتقال السلطة :

لا يمكن القبول بان ما حصل في السقيفة من نتائج، هو تخويل شرعيّ لادارة مجتمع المسلمين ولا يمكن عدّه اجازة شرعية لاستلام مقاليد الحكم. بل يمكن اعتباره انتقالاً للسلطة من يد سابقة الى يد لاحقة. واذا كان رسول الله (ص) يحكم بالشرعية المستمدة من السماء، فان الذين انتقلت اليهم السلطة عنوة لم يكن يملكون اي شيء من ذلك الامر. فكيف حاول التأريخ اضعاف شرعية على ذلك الانتقال ؟

لا يمكن ان تكون عملية الانتقال شرعية الا ان يوصي الحاكم الاول وهو رسول الله (ص) الى الحاكم الثاني، او على الاقل يُمضي انتقال السلطة الشرعية من يده الشريفة الى اليد الثانية. اما ان يجتمع القوم ويقررون، دون رضا رسول الله (ص)، فهنا يصح الانتقال انتقالاً غير شرعياً ولا ملزماً. ولذلك فان الامام (ع) لم يبايع الخليفة الاول. واذا كان هذا غير كافياً فلا بد من اضافة نقطة ثالثة وهي ان رسول

الله (ص) اوصى للامام (ع) يوم الغدير بالولاية. فمخالفة القوم لوصية رسول الله (ص) تجعل عملية الانتقال تلك عملية غير شرعية ولا عقلية ايضاً.

واذا اقررنا بان القرآن الكريم كان ولا يزال دستوراً لدولة الاسلام، فان القرآن يأمر المؤمنين بطاعة اولي الامر : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم...) <sup>26</sup>. اذن فان دستور الدولة الاسلامية يأمر المسلمين بطاعة الله ورسوله وولي الامر من بعده. فكان الرسول (ص) بحكم وظيفته التبليغية مأموراً بان يوصي لرجل آخر بالولاية، حتى يكون انتقال السلطة الشرعية انتقالاً شرعياً مطمئن له النفوس. وهذا عين ما حصل قبل غزوة تبوك. وحصل ايضاً — وبصورة أعم — يوم الغدير حين اوصى النبي (ص) لعلي (ع) بالولاية الشرعية على المسلمين. ذلك ان انتقال السلطة من النبي (ص) الى الامام (ع) يعني انتقال وظائف السلطة الشرعية بينهما، خصوصاً في قضايا القتال والجهاد، وتطبيق الحدود، واحقاق الحقوق والالزام من واجبات ونحوها، واحكام الشريعة بصورتها الكلية الشمولية.

وانتقال السلطة الدينية التي خطط لها رسول الله (ص) وفي تلك الفترة بالذات لا يعني انتقال السلطة التنفيذية فقط، بل كان يعني انتقال السلطة التشريعية والقضائية ايضاً. ذلك ان العصمة في الدين تعكس القدرة الاستثنائية على ادراك ملاكات الاحكام، والمصالح والمفاسد، ادراكاً واقعياً حقيقياً.

وهنا يكون الولي الذي اوصي له بالقول : «من كنت مولاه فعلي مولاه» قائداً حقيقياً في التنفيذ والتشريع والقضاء. خصوصاً وان الوضع الاستثنائي الذي كان يعيشه الاسلام من حيث وجود المنافقين، والذين دخلوا الاسلام حديثاً، والذين آمنوا ظاهراً ولم يؤمنوا باطناً، يتطلب تكثيف الإرادة الشرعية فيما يتعلق بالادارة الاجتماعية والسلطة الشرعية في يد واحدة قادرة على اداء تلك الوظائف مجتمعة. ولذلك خاطبهم الامام (ع) بعد انتهاء السقيفة : «...لنحنا احق الناس به، لأننا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الامر منكم. ما كان فينا الا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الامور السنية، القاسم بينهم بالسوية» <sup>27</sup>.

## 5 — لعبة السقيفة ولعبة الخلافة :

يتداول المفكرون في علم السياسة اراءً حول نظرية تسمى بنظرية اللعبة، وهي نظرية سياسية تدرس سلوك المشاركين في لعبة استراتيجية سياسية تخص المجتمع وادارته الاجتماعية. وجوهر النظرية يكشف ان

<sup>26</sup> سورة النساء: الآية 59.

<sup>27</sup> (الامامة والسياسة) ج 1 ص 21-30.

المشارك في تلك اللعبة لا يعتمد في النتيجة على افعاله فقط، بل ان النتيجة تعتمد ايضاً على دور المشاركين الآخرين ومصالحهم المتوازية مع مصالحه الذاتية والاجتماعية. ومع ان العملية تتطلب صراعاً من اجل المصالح الشخصية، الا انها تتطلب تعاوناً ومشاركة ايضاً.

وإذا اخذنا السقيفة كمصداق من مصاديق نظرية اللعبة السياسية، لرأينا بان ذلك المصداق ينطبق على الصورة الكلية. فصورة الصراع الظاهرية كانت بين الانصار والمهاجرين. وكان في الانصار سعد بن عبادة والحباب بن المنذر، وكان في الجهة المقابلة وجوهاً من قريش. حيث كان الصراع على اوجه بينهما، الى حد انه وصل الى العنف وشهر السلاح.

واما اوجه التعاون فقد كانت بين بشير بن سعد (من الخزرج) وأسيد بن حضير (من الاوس) من الانصار من جهة وبين قريش من جهة اخرى. وكان هناك تعاوناً آخر بعد انتهاء السقيفة بين بني امية وعلى رأسهم عثمان وبني زهرة وعلى رأسهم سعد وعبد الرحمن بن عوف من جهة وبين قريش من جهة اخرى. وكان هناك صراعاً آخر بين الزبير بن العوام من جهة وبين قريش ايضاً، انتهى الى تسليم الزبير وتجريدته من سلاحه.

وهذه كلها لا تعطي انطباعاً عن سلوك شرعي تحكمه نظرية «الاحوة» في الدين. بل كانت مصداقاً من مصاديق نظرية اللعبة السياسية بين الاطراف. فهي كانت مبرراً لسلوك فيه الكثير من ادوات التعاون والصراع والاقحام بين اناس ليسوا اهلاً للمواقع الحساسة الخطيرة في المجتمع الاسلامي الجديد. وهنا كانت قوانين تلك اللعبة السياسية بعيدة عن الاجواء الشرعية التي نزل بها الدين الحنيف.

ولاشك ان اقتراح الانصار في السقيفة الذي كان موجهاً للمهاجرين : «منا امير ومنكم امير»، كان يُراد به حكومة ائتلافية تجتمع فيها قوتان في الوقت الذي تُزحزح فيه القوة الشرعية الرئيسية وهي قوة علي (ع) وبنو هاشم. ولكن ذلك المسعى فشل، لان قريش كانت مندفعة نحو الاستفراد بالسلطة، او على الاقل المشي وراء نظرية «نحن الامراء وانتم الوزراء». ذلك ان النظرية الاخيرة جعلت الخيارات معروفة لدى الطرفين. الا ان الطرف الاقوى حاز على كل مكتسبات اللعبة، واصبح منهم الامراء والوزراء معاً. وهكذا خسر الانصار كل المكتسبات التي كانوا يطمحون بتنميتها.

واهم ما في لعبة السقيفة من نتائج هو ان الطرف الذي اختار اهدافه بصراحة وتسرع، قد خسر في نهاية الاجتماع. ذلك ان الذي يختار اهدافه بتلك الطريقة الواضحة — وهي طريقة الانصار الذين ارادوها لهم في البداية ثم ساوموا على ان يكون منا امير ومنكم امير — لا بد ان يفشل. فالذي يكشف اوراقه من البداية، في الوقت الذي لا يعرف اساليب الطرف المقابل واهدافه، سيخسر تلك الجولة. ذلك لان الطرف الثاني كان

يملك خيارات اوسع واهداف غير معلنة ووسائل اقناع وتخطيط مسبق لايقاع الطرف الاول في الفخ. وهكذا وقع الانصار في فخ «اذا هلكنا جميعاً فسيأتي بعدنا من يسومنا الضيم». وكان رد الخصم على ذلك هو ان قريشاً — ابا عن اب — افضل منهم في المال والدين والخلافة على الصلاة، فهي احق بميراث رسول الله (ص) ! اتركوا الامر لقريش وسوف تروون كيف تحافظ على عهدها معكم. وهكذا تمت تلك الجولة وانتصرت فيها قريش على الانصار، لوجهين :

الاول : ارتكب الانصار اعظم الاخطاء السياسية عندما طرحوا رأيهم واهدافهم من البداية على طرف محنك سياسياً. ولم يتأنوا قليلاً وينتظروا ما سيقول خصمهم.

الثاني : لم يكن اندفاع الانصار نحو الخلافة كاندفاع قريش القوي الشرس، وكان قول الانصار : منا امير ومنكم امير، اول الوهن واول التنازل امام خصم قوي. فاستغلت قريش ذلك وطالبتهم بان يكونوا وزراء لقريش، وهي التفاتة سياسية قوية لم يحسب لها الانصار حساباً. وهنا استخدمت قريش استراتيجية محكمة في التعامل مع الانصار، بينما اعتمد الانصار على مجرد الحظ في قطف ثمار الخلافة.

في ذلك الاجتماع، كان ابو بكر يفحص ذكاء الانصار وقدراتهم السياسية، ولذلك كان يخاطبهم بلغة فيها لون من الرقة والهدوء، وكان يقدم عمر وابو عبيدة للخلافة مع ان كل الدلائل كانت تشير الى انه كان يريد لها لنفسه. اما عمر، فقد حاول تجنب مواجهة الحباب بن المنذر بدعوى ان رسول الله (ص) نهاه عن منازعته. مع ان عمر كان الحربة التي كانت توجهها قريش لكل من خالفها. فكان شديداً فظاً اقرب الى الهجوم اللفظي منه الى الهدوء. ولم يشتهر عنه انه كان شجاعاً في الحروب، بل كان على العكس من ذلك. ان اجتماع السقيفة لم يكن يحمل جنبه اقناعية او انتخائية. فقد كُبل سعد بن عباد وأخرج بالقوة، وأخرج الحباب بن المنذر بالقوة، واجبروا الزبير بن العوام على البيعة، ومسحوا ايادي الناس على يد ابو بكر. وهكذا كانت بيعة اكراه، وليس بيعة تصويت او اقناع. وكان لسان علي (ع) ينطق مخاطباً اولئك الذين لم يفهموا روح الدين بعد : «فاطفئوا ما كمنَ في قلوبكم من نيرانِ العصبيةِ، واحقادِ الجاهليةِ. فانما تلك الحميةُ تكونُ في المسلمِ، من خطراتِ الشيطانِ ونخواتِهِ، ونزعاتِهِ ونفتاته»<sup>28</sup>. وكان اهم ما في السقيفة: إبعاد علي (ع) عن مقعد الولاية الشرعية.

وبكلمة، فقد كانت «شجرة» القرار السياسي في السقيفة بيد قريش، وكان قراراً عمودياً ترأسه عمر بن الخطاب. وفسح المجال لابي بكر وابي عبيدة بالكلام، ولذلك خاطبه امير المؤمنين (ع) : «احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً». ولذلك، فان قريش لم تغير استراتيجيتها في السقيفة اصلاً، ولم

<sup>28</sup> (فخ البلاغة) - حطبة 192 ص 360.

تساوم كما حاول الانصار المساومة بفكرتهم اليتيمة : «منا امير ومنكم امير». وهكذا قُدِّر للدهاء السياسي القرشي والحنكة السياسية بالنجاح في اول معركة سياسية بعد وفاة النبي (ص).

## 6 — السقيفة والجماعات السياسية :

يطلق لفظ «الجماعة السياسية» على مجموعة محدودة من الافراد توحدّها المصالح والرؤى المشتركة. وقلنا : مجموعة محدودة، لأنها فعلاً محدودة العدد، فلا يمكن اطلاق لفظ الجماعة السياسية على الجيش مثلاً. و«الجماعة السياسية» هنا غير مصطلح «الجماعة» في الفقه والروايات.

ولاشك ان الجماعات السياسية في المدينة كانت فاعلة بقوة خلال مرض النبي (ص) ووفاته. وكان من تلك الجماعات : جماعة الاوس وجماعة الخزرج من الانصار، وجماعة قريش من المهاجرين، وجماعة المنافقين، وجماعة اليهود، والاعراب ربما شكلوا جماعة، وكثير من الذين دخلوا الاسلام حديثاً ولا يزالوا حديثي عهد بالواجبات والتكاليف.

ولكن ما الذي يجعل الجماعة السياسية تؤثر بفعالية على آراء الآخرين وتغير سلوكهم ؟ وما الذي يعطي بعض الافراد ملكة التسلط على الآخرين فكراً ؟

وتقريب الجواب يتلخص في الموارد التالية :

1 — يمتلك البعض من الافراد دهاءً سياسياً فريداً من نوعه. فاذا تم له ذلك فان الجماعة تلتئم من حوله بصورة طبيعية. فالافراد — على الاغلب — يجنون القوي الذي يجلب لهم امتيازاً في السلطة والاجتماع .

2 — ان الجماعة السياسية تمُدُّ الفرد الذي يسيطر عليها وله ملكة الدهاء، بالوان الدعم السياسي والاجتماعي والامني. وهنا يكون التعاون متبادلاً ومنسّقاً، لان الطموحات مشتركة. ولكن ذو الملكة والدهاء يضبط امور الجماعة السياسية بحنكته وبطشه.

3 — ان القدرة على السيطرة على جماعة سياسية صغيرة قد تتحول الى قدرة اوسع في السيطرة على النظام الاجتماعي كلياً. خصوصاً اذا توفرت الظروف المناسبة والشروط الموضوعية لذلك. واستقراءً للتاريخ نجد ان الذين يصلون الى مراتب الرئاسة والحكم والسلطة غالباً ما يمارسوا خلال حياتهم نشاطاً ضمن جماعة سياسية.

ومن المؤكد، فان الجماعات السياسية الفاعلة في المدينة في السنة العاشرة بعد الهجرة ساهمت بشكل مؤثر في التقليل من اهمية وصية رسول الله (ص) في غدیر خم، وساهمت في التقليل من اهمية الولاية الشرعية.

والا، فاننا لا نستطيع ان نستوعب الافكار التاريخية المفككة. فكيف يوصي النبي (ص) بالولاية لعلي (ع) في غدیر خم، ثم ينسى الناس تلك الوصية بعد سبعين يوماً فقط من اصدارها ؟  
 فلاشك ان تأثير تلك الجماعات السياسية على آراء الناس كان يؤدي الى تغيير سلوكهم، كرهاً او اختياراً. فكانت المحاولات السياسية لخلق بديل للنبي (ص) في الولاية غير علي (ع) — مع شيء من الترغيب والترهيب — اقصر الطرق للسيطرة على الوضع السياسي ومساندة ما تم في السقيفة من نتائج. وبذلك فقد ساهمت الجماعات السياسية في المدينة على اكراه الناس على رأي لم يتبنوه اصلاً في حياة رسول الله (ص).  
 وعندما رأى امير المؤمنين (ع) ما حصل في السقيفة من انتخاب القوم لرجل من قريش، وابعاده (ع) عن حقه في الولاية، قرر ان يلتزم الصبر والبصيرة بعد ان بحَّ صوته في نقاشهم ومحاجتهم، فكان يقول :  
 «...فرايتُ ان الصبرَ على هاتا احجى (ألزم). فصبرتُ وفي العينِ قذىً، وفي الحلقي شجاً، ارى ثرائي (اي ميراثي) مُهباً...»<sup>29</sup>.

وكان عليه (ع) ان يتجه فوراً لحفظ القرآن وصيانتته من يد التحريف. فقد رأى من الناس ما رأى عند وفاة النبي (ص) فأقسم (ع) ان لا يضع عن ظهره رداءه حتى يصون القرآن. فلزم بيته حتى تأكد من جمعه واطمنت نفسه الى ذلك. ولذلك فاننا سنتناول في هذا القسم من الفصل : صيانة القرآن. وهو موضوع غير منفصل عن موضوع جمع القرآن الذي بحثناه في الفصل التاسع.

\*\*\*\*\*

### القسم الثاني : صيانة القرآن

ذكرنا في الفصل التاسع ان علياً (ع) مع كتابُ آخرون كتبوا القرآن الكريم في حياة رسول الله (ص) في صحف وبأمر منه (ص) مباشرة. ثم جُمعت تلك الصُحف على ترتيب النزول. وعند وفاة رسول الله (ص) وتخاصم القوم في السقيفة، تولى امير المؤمنين (ع) فحص القرآن المكتوب وجمعه بشكل نهائي. وقد ورد في بعض الروايات ان علياً (ع) جمع القرآن بعد وفاة النبي (ص). ولعل المقصود من هذا الجمع العرفي لا الجمع الاصطلاحي. اي جمع الصحف المكتوبة الموجودة عنده (ع) بأمر رسول الله (ص) وتدقيقها.  
 فنقل السيوطي في «الاتقان» عن ابن حجر : انه قد ورد عن علي (ع) انه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي (ص) اخرجته ابن ابي داود. وفي «شرح الكافي» للمولى صالح القزويني عن كتاب «سليم بن قيس» : ان علياً (ع) بعد وفاة النبي (ص) لزم بيته [مدة ثلاثة ايام] وأقبل على القرآن يجمعه

<sup>29</sup> (فجح البلاغة) — حطبة 3 الخطبة الشقشقية ص 36.

ويؤلفه، فلم يخرج من بيته حتى جمعه كله. وكتب على تزييله الناسخ والمنسوخ منه، والمحكم والمتشابه. والمستفاد من ذلك ان مكوث علي (ع) في بيته ثلاثة ايام<sup>30</sup> كان من اجل التأكد من وجود القرآن مكتوباً بكامله. فيكون الامر من قبيل مراجعة نصوص القرآن المجيد. والا، فانه لو لم يكن مكتوباً لتعدرت كتابته في تلك الفترة القصيرة.

وبعد ان اشار الشيخ المفيد (ت 413 هـ) في اثره «الارشاد» و«الرسالة السروية» بان علياً (ع) قدّم في مصحفه المنسوخ على الناسخ قال: «وكتب فيه تأويل بعض الآيات وتفسيرها بالتفصيل». يقول الشهرستاني في مقدمة تفسيره: «كان الصحابة متفقين على ان علم القرآن مخصوص لاهل البيت (ع) إذ كانوا يسألون علي بن ابي طالب (ع): هل خصصتم اهل البيت دوننا بشيء سوى القرآن؟<sup>31</sup> فاستثناء القرآن بالتخصيص دليل على اجماعهم بان علوم القرآن مخصوصة بهم (ع).

ومع كل ذلك فقد حُذِف اسم علي (ع) من باب جمع القرآن من مصادر مدرسة الصحابة عدا ما شدّد. فقال البخاري فيمن جمع القرآن على عهد النبي (ص): ابي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وابو زيد. وروى في موضع آخر: مكان ابي بن كعب: ابا الدرداء. وقال السيوطي في «الاتقان» نقلاً عن ابن ابي داود بسند حسن! اهم خمسة: معاذ، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وابو الدرداء، وابو ايوب الانصاري.

وعن ابن سيرين اهم اربعة: معاذ، وابي، وابو زيد، وابو الدرداء او عثمان او هو مع تميم الداري. وخرّج البيهقي وابن ابي داود عن الشعبي اهم ستة: ابي، وزيد بن ثابت، ومعاذ، وابو الدرداء، وسعد بن عبيد، وابو زيد، ومجمع بن جارية.

نعم، قد انصف صاحب «الفهرست» محمد بن اسحاق «ابن النديم»، فساق اسم علي (ع) فيمن جمعوا القرآن، وكذلك فعل الخوارزمي في مناقبه فقال: جمع القرآن على عهد رسول الله (ص): علي بن ابي طالب (ع)، وأبي بن كعب.

ولكن علماؤنا اتفقوا على ان علياً (ع) هو اول من جمع القرآن، وتم تدقيقه بعد وفاة رسول الله (ص). والمشهور في مدرسة الصحابة انه تأخر عن بيعه ابي بكر انشغالاً او تشاغلاً بالقرآن! قال السيد شرف الدين: «الاجماع قائم على ان ليس لهم في العصر الاول تأليف أصلاً واما علي (ع) وخاصته فاهم

<sup>30</sup> قال ابن النديم في (الفهرست): قال ابن المنادي: حدثني الحسن بن العباس قال: اخبرت عن عبد الرحمن بن ابي حماد، عن الحكم بن ظهير السلسوسي عن عبد خير عن علي (ع) انه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي (ص) فأقسم ان لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن. فجلس في بيته ثلاثة ايام حتى جمع القرآن.

<sup>31</sup> (مفاتيح الاسرار ومصايح الابرار) - الشهرستاني. المقدمة.

تصدّوا لذلك في القرن الاول، واول شيء سجله امير المؤمنين (ع) كتاب الله العزيز، فانه بعد الفراغ من امر النبي (ص) آلى على نفسه ان لا يرتدي الا للصلوة او يجمعه، فجمعه مرتباً على حسب ترتيبه في التزول، و اشار الى عامه وخاصه، ومطلقه ومقيده، ومجمله ومبيته، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وآدابه وسننه. ونبه على اسباب التزول في آياته البينات، ووضح ما عساه يشكل من بعض الجهات. وكان ابن سيرين يقول : لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم...»<sup>32</sup>.

### آثار الصيانة

كان لصيانة القرآن الكريم والاعتناء بسلامته من كل تحريف من مهمات الامام (ع) الرئيسية. فهو وإن تألم لما آلت اليه اوضاع المسلمين بعد وفاة النبي (ص)، الا انه لم يأل جهداً في الحفاظ على كتاب الله المجيد مصوناً بين الدفتين. وكان له (ع) ذلك. فقد بقي القرآن الكريم محفوظاً طبقاً للوعد الالهي : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)<sup>33</sup>.

### 1 – شخصية علي (ع) والقرآن الكريم:

ويؤيد اهتمام علي (ع) بجمع القرآن الكريم زمن رسول الله (ص)، المساجلة بينه (ع) وبين طلحة. قال طلحة : ما أراك يا ابا الحسن أجبتي عما سألتك عنه من القرآن الا تظهره للناس ؟ قال (ع) : يطلحة عمداً كفتت عن جوابك، فاحبرني عما كتب عمر وعثمان أقرآن كله ام فيه ما ليس بقرآن ؟ قال طلحة : بل قرآن كله. قال : إن اخذتم بما فيه نجوتم من النار، ودخلتم الجنة...»<sup>34</sup>. ووجه الدلالة ان علياً (ع) كان يخشى ان تترك الثقافة الاجتماعية الوثنية التي تربي عليها البعض من الذين اسلموا لاحقاً آثارها على القرآن. ولكن عندما اطمئن الى صحة جمعه قال : إن اخذتم بما فيه نجوتم من النار. وهذا دليل على ان القرآن محفوظ بين الدفتين لم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف.

وشخصية كعلي (ع) اهتمت بالقرآن منذ نزوله، تعلم ان المخرج من الفتن هو كتاب الله. فهو القائل (ع) عندما سُئل بان أناساً يخوضون في الاحاديث في مسجد رسول الله (ص) : «اما اني قد سمعتُ رسول الله (ص) يقول : ستكون بعدي فتن. قلتُ : وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله. كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم. هو الفصل ليس بالهزل. هو الذي من تركه من جبار قصمه الله.

<sup>32</sup> (مولفوا الشيعة) - عبد الحسين شرف الدين ص 13.

<sup>33</sup> سورة الحجر: الآية 9.

<sup>34</sup> كتاب سليم بن قيس ص 100.

ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله. فهو حبل الله المتين. وهو الذكر الحكيم. وهو الصراط المستقيم. وهو الذي لا تزيغ به الاهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً. هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به اجر، ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم»<sup>35</sup>.

وقوله (ص): «هو الذي من تركه من جبار قصمه الله» فيه دلالة على ان ترك العمل بالقرآن الكريم واحكامه يكون فيه هلاك الجبارين. وقوله (ص): «وهو الذي لا تزيغ به الاهواء، ولا تلتبس به الألسنة». يعني ان الاهواء لا تستطيع ان تغير معاني القرآن والفاظه. فالقرآن هو الفصل والحكم العدل بين الحق والباطل. وقريباً منه قول امير المؤمنين (ع) في صفة القرآن: «ثم انزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحها، وسراجاً لا يخبو توقده، وجرراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقاناً لا يخذم برهانه، وتبياناً لا تدم اركانه»<sup>36</sup>، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه. فهو معدن الايمان ومجربوحتة، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدراثة، وأثافي الاسلام وبنياته<sup>37</sup>، وأودية الحق وغيطانه، وجر لا ينزفه المنتزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله ريباً لعطش العلماء، وريباً لقلوب الفقهاء، ومحاج لطرق الصلحاء، ودواء ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتم به، وعذراً لمن انتحلته، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاج به، وحاملاً لمن حملة، ومطية لمن أعمله، وآية لمن توسم، وجنة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى»<sup>38</sup>.

وهذه المعاني الجليلة تحتاج بعضاً من التدبر، فقله (ع): «ثم انزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحها...» اي لا تنتهي معانيه، فان موارد الزول لا تخصص الوارد، بل ان معانيه عامة تنطبق على كل زمان ومكان. وقوله (ع): «ومنهاجاً لا يضل نهجه» انه كتاب هداية ورحمة للعباد. وقوله (ع): «وينابيع العلم وبحوره» يعني ان مصادر العلم التي تحتاجها الامة في سيرها المتواصل الى ابد الدهر قد اجتمعت في القرآن.

<sup>35</sup> (سنن الدارمي) كتاب فضائل القرآن ج 2 ص 435. و(بحار الانوار) ج 9 ص 7 عن تفسير العياشي. رواه (الحارث الهمداني) وهو من اعظم اصحاب امير المؤمنين (ع) وافقههم.

<sup>36</sup> في (بحار الانوار): بنيناً.

<sup>37</sup> (الاثافي) كاماني جمع ائفة - بالضم والكسر - وهي الحجارة التي يوضع عليها القدر.

<sup>38</sup> (فج البلاغة) حطبة 198 ص 397.

## 2 - المصحف الحق المحفوظ بين الدفتين :

وعلى اي تقدير، فقد بقى القرآن الذي كتبه امير المؤمنين (ع) هو المصحف الحق الذي حفظ ما بين الدفتين، وكان مصداقاً لقوله تعالى: (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)<sup>39</sup>. وهناك دليان على ذلك :

الاول : ما رواه ابن طاووس (ت 664 هـ ) في كتاب «سعد السعود» نقلاً عن كتاب ابي جعفر محمد بن منصور ورواية محمد بن زيد بن مروان في اختلاف المصاحف : ان القرآن جمعه على عهد ابي بكر «زيد بن ثابت» وخالفه في ذلك «أبي» و«عبد الله بن مسعود» و«سالم» مولى ابي حذيفة. ثم عاد عثمان فجمع المصحف برأي مولانا علي بن ابي طالب (عليه السلام). واخذ عثمان مصاحف ابي، وعبد الله بن مسعود، وسالم مولى ابي حذيفة فغسلها [ وفي بعض النسخ : فحرقها ] . وكتب عثمان مصحفاً لنفسه، ومصحفاً لاهل المدينة، ومصحفاً لاهل مكة، ومصحفاً لاهل الكوفة، ومصحفاً لاهل البصرة، ومصحفاً لاهل الشام<sup>40</sup>.

الثاني : ما ذكره الشهرستاني في مقدمة تفسيره برواية سويد بن علقمة، قال : سمعتُ علي بن ابي طالب (ع) يقول : ايها الناس، الله اياكم والغلو في امر عثمان، وقولكم حرق المصاحف. فوالله ما حرقها الا من ملأ من اصحاب رسول الله (ص). جمعنا وقال : ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها : يلقي الرجل الرجل فيقول قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يجرّ الى الكفر. فقلنا بالرأي. قال : اريد ان اجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم اشد اختلافاً. فقلنا : نعم ما رأيت. فارسل الى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص، قال : يكتب احدكما ويُملئ الآخر، فلم يختلفا في شيء الا في حرف واحد في سورة البقرة، فقال احدهما : «التابوت»، وقال الآخر : «التابوه» واختار قراءة زيد بن ثابت لانه كتب الوحي<sup>41</sup>. وفيما ذكره الشهرستاني دلالات :

1 - ان علياً (ع) كان شاهداً ومشرفاً على كتابة القرآن في عهد عثمان، ولذلك فقد فصل في طبعة الكتابة والاملاء والاخذ بقراءة زيد بن ثابت.

2 - ان علياً (ع) اكد ان «زيد بن ثابت» كان كاتباً للوحي، كما كان امير المؤمنين (ع) ذاته. وقد كان اختياره لكتابة الوحي مع علي بن ابي طالب (ع) حتى لا تختلف الامة من بعد رسول الله (ص) في القرآن كما اختلفت في ولاية اهل البيت (ع)، كما ذكرنا ذلك سابقاً.

<sup>39</sup> سورة الحجر: الآية 9.

<sup>40</sup> (سعد السعود) - ابن طاووس ص 278.

<sup>41</sup> (مفاتيح الاسرار ومصايح الابرار) - الشهرستاني. المقدمة.

### 3 — تلاميذ الامام (ع) :

وذكر ابن طاووس (ت 664 هـ) في «سعد السعود» انه : اشتهر بين اهل الاسلام ان ابن عباس كان تلميذ علي (ع). وذكر محمد بن عمر الرازي في كتاب «الاربعين» : ان ابن عباس رئيس المفسرين كان تلميذ علي بن ابي طالب (ع).

وكان للامام (ع) تلميذ آخر هو ابو الاسود الدؤلي الذي تعلم اصول النحو من امير المؤمنين (ع). فقد كانت العرب في البادية تنطق بكلام فصيح، وتنشد اشعاراً بليغة، وتفقه فصاحة القرآن وبلاغته الاعجازية. ولكن اختلاط الامم الاخرى بالعرب ابرزت اللحن على لسان الفصحاء من العرب. ولذلك اشار الامام (ع) على الدؤلي بكتابة النحو حفظاً على سلامة القرآن وصيانه. قيل للدؤلي : من اين لك هذا العلم؟ يعنون النحو. فقال : لقتُ حدوده من علي (ع) <sup>42</sup>.

وكان للدؤلي تلاميذ في علم النحو منهم : يحيى بن يعمر العدواني قاضي خراسان، ونصر بن عاصم الليثي، وهما اللذان وضعوا النقط افراداً وازواجاً لتمييز الاحرف المتشابهة بالاسلوب الذي تتداوله اليوم وهو ما يسمى بالاعجام. فقد بات صعباً على القارئ التمييز بين (ننشزها) بالراء المعجمة او (ننشرها) بالراء المهملة، او (لتكون آية لمن خلفك) بالفاء او (لمن خلفك) بالقاف.

اما ابو الاسود الدؤلي فقد قام باعراب القرآن بعد ان سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى : (ان الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر اللام بدل فتحها. فاعظم ابو الاسود ذلك وقال : عز وجه الله ان يبرأ من رسوله. فأمر كاتباً من الكتاب وقال له : خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد، فاذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه، واذا كسرتهما فانقط واحدة اسفله، واذا ضممتها فاجعل النقطة بين الحرف، فإن تبعت شيئاً من هذه الحركات غتة <sup>43</sup> فانقط نقطتين، واخذ يقرأ القرآن بالتأني والكاتب يضع النقط، وكلما أتم الكاتب صحيفةً اعاد ابو الاسود نظره عليها، واستمر على ذلك حتى اعرب المصحف كله، وجرى الناس على طريقته <sup>44</sup>. وكانت الحركات تُكتب بلون مختلف. فالسواد للحروف والحمرة للاشكال او الحركات بطريقة النقط.

وبكلمة، فان علياً (ع) لم يأل جهداً في حفظ القرآن وصيانه. فقد جهد في صيانة القرآن المجيد عن طريق الكتابة المباشرة، وجمع السور والآيات المتفرقة، وترتيب القرآن، ووضع قواعد النحو من اجل ان

<sup>42</sup> (وفيات الاعيان) ج 1 ص 240.

<sup>43</sup> الغتة: مخصوصة بحرفي: ن، م. وهي عملية تلفظ لكلمات بحرف فيها الصوت بالانف. مثل: إن، أنعمت، منهم، ثمأ.

<sup>44</sup> (تاريخ القرآن) — الزنجاني ص 96.

لا يختلط على الناس فوضع الاعراب والاعجام<sup>45</sup>، وعلم الناس تفسير القرآن والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه. وكان من قبل قد قاتل المشركين ثم قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعد، من اجل ان يبقى القرآن محفوظاً بين الدفتين الى يوم القيامة.

#### 4 — علة تضارب الاقوال حول جمع القرآن:

تضاربت الاقوال في مدرسة الصحابة، بشكل ملحوظ، في قضية جمع القرآن. ولاشك ان احاديث جمع القرآن بعد وفاة رسول الله (ص) كانت متناقضة ومتضاربة ومخدوشة من جهات شتى، بالاضافة الى كونها اخبار آحاد لا تفيد علماً. ومن تلك الروايات :

1 — روى ابن ابي شيبة باسناده عن علي. قال : «اعظم الناس في المصاحف اجراً ابو بكر. ان ابا بكر اول من جمع ما بين اللوحين»<sup>46</sup>.

2 — روى محمد بن سيرين. قال : «قُتِلَ عمر ولم يُجمع القرآن»<sup>47</sup>.

3 — روى الحسن : «ان عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل : كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة. فقال : انا لله، وأمر بالقرآن فجمع فكان اول من جمعه في المصحف»<sup>48</sup>.

4 — روى زيد بن ثابت. قال : «ارسل اليّ ابو بكر، مقتل اهل يمامة. فاذا عمر بن الخطاب عنده، قال ابو بكر : ان عمر أتاني. فقال : ان القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرء القرآن، واني اخشى ان يستحرّ القتل بالقرء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، واني ارى ان تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر : هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد : قال ابو بكر : انك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص) فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان اثقل علي مما امرني من جمع القرآن.

قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله (ص) ؟ قال : هو والله خير، فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري، للذي شرح له صدر ابي بكر وعمر. فتتبع القرآن اجمعه من العصب، واللخاف، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع ابي خزيمة الانصاري، لم اجدها مع احد غيره : (لقد

<sup>45</sup> الاعراب هو وصل الخط مضبوطاً بالحركات والسكنات. والاعجام هو تمييز الحروف المتشابهة بوضع نقط لمنع اللبس

<sup>46</sup> (منتخب كنز العمال) ج 2 ص 43-52.

<sup>47</sup> المصدر السابق.

<sup>48</sup> المصدر السابق.

جاءكم رسولٌ من انفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فان تولوا فقل حسبي الله لا إله الا هو عليه توكلتُ وهو رب العرش العظيم<sup>49</sup> ، حتى خاتمة براءة. فكانت الصحف عند ابي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر<sup>50</sup> .

5 — روى مصعب بن سعد، قال : «قام عثمان يخطب الناس. فقال : ايها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة واتم تتمرون في القرآن، تقولون قراءة أبي، وقراءة عبد الله، يقول الرجل والله ما تقيم قراءتك. فاعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به. فكان الرجل يجيء بالورقة والاديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة. ثم دخل عثمان ودعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم لسمعت رسول الله (ص) وهو أمّله عليك، فيقول : نعم. فلما فرغ من ذلك عثمان. قال : من أكتب الناس ؟ قالوا : كاتب رسول الله (ص) زيد بن ثابت. قال : فأيُّ الناس اعرب ؟ قالوا : سعيد بن العاص. قال عثمان : فليمل سعيد، وليكتب زيد. فكتب زيد. وكتب مصاحف ففرقها في الناس. فسمعت بعض اصحاب محمد (ص) يقول : قد احسن<sup>51</sup>» .

وتلك الروايات متناقضة في ذاتها، فهي مرة تذكر ان الخليفة الاول جمع القرآن، واخرى ان الخليفة الثاني قد جمعه، وثالثة ان الخليفة الثالث تصدى لجمعه. وهي روايات موضوعة تخدش اصل الاسلام، لانه كيف يتم لدين سماوي البقاء خالداً دون ان يُحفظ كتابه الالهي الذي اعجز البشرية لحد اليوم عن الاتيان بمثله ؟

وتلك الروايات معارضة لروايات اخرى دلّت على ان القرآن الكريم قد كُتب في عهد رسول الله (ص). فقد روى الطبراني، وابن عساكر عن الشعبي، قال : «جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) ستة من الانصار : أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وابو الدرداء، وسعد بن عبيد، وابو زيد. وكان يجمع بن جارية قد اخذه الا سورتين او ثلاث<sup>52</sup>» .

وروى قتادة، قال : «سألتُ انس بن مالك : من جمع القرآن على عهد النبي ؟ قال : اربعة كلهم من الانصار : أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وابو زيد<sup>53</sup>» .

«ولعل قائلاً يقول وان المراد من الجمع في هذه الروايات هو الجمع في الصدور لا التدوين. وهذا

<sup>49</sup> سورة التوبة: الآية 128-129.

<sup>50</sup> (صحيح البخاري) - باب جمع القرآن ج 6 ص 98.

<sup>51</sup> (منتخب كنز العمال) ج 2 ص 43-52.

<sup>52</sup> (المصدر السابق) ج 2 ص 48.

<sup>53</sup> (صحيح البخاري) باب القراء من اصحاب النبي (ص) ج 6 ص 202.

القول دعوى لا شاهد عليها. أضف الى ذلك ان حفاظ القرآن على عهد رسول الله (ص) كانوا اكثر من ان تحصى اسماؤهم، فكيف يمكن حصرهم في اربعة او ستة؟! وان المتصفح لاحوال الصحابة، واحوال النبي (ص) يحصل له العلم اليقين بان القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله (ص) وان عدد الجامعين له لا يستهان به. واما ما رواه البخاري باسناده عن انس، قال : مات النبي (ص) ولم يجمع القرآن غير اربعة : ابو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وابو زيد، فهو مردود مطروح، لانه معارض للروايات المتقدمة، حتى لما رواه البخاري نفسه. ويضاف الى ذلك انه غير قابل للتصديق به. وكيف يمكن ان يحيط الراوي بجميع افراد المسلمين حين وفاة النبي (ص) على كثرتهم، وتفرقهم في البلاد، ويستعلم احوالهم ليتمكن ان يحصر الجامعين للقرآن في اربعة، وهذه الدعوى تخرص بالغيب، وقول بغير علم.

وصفوة القول : انه مع هذه الروايات كيف يمكن ان يصدق ان ابا بكر كان اول من جمع القرآن بعد خلافته؟ واذا سلمنا ذلك فلماذا امر زيداً وعمر بجمعه من اللخاف، والعسب، وصدور الرجال، ولم يأخذه من عبد الله ومعاذ وأبي، وقد كانوا عند الجمع احياء، وقد امروا بأخذ القرآن منهم، ومن سالم؟ نعم ان سلماً قد قتل في حرب اليمامة، فلم يمكن الاخذ منه. على ان زيداً نفسه كان احد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرواية، فلا حاجة الى التفحص والسؤال من غيره، بعد ان كان شاباً عاقلاً غير متهم كما يقول ابو بكر. أضف الى جميع ذلك ان اخبار الثقلين المتضافرة تدلنا على ان القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله (ص) «...»<sup>54</sup>.

ولاشك «ان هذه الروايات معارضة بالكتاب، فان كثيراً من آيات الكتاب الكريمة دالة على ان سور القرآن كانت متميزة في الخارج بعضها عن بعض، وان السور كانت منتشرة بين الناس، حتى المشركين واهل الكتاب. فان النبي (ص) قد تحدى الكفار والمشركين على الاتيان بمثل القرآن، وبعشر سور مثله مفتريات، وبسورة من مثله. ومعنى هذا : ان سور القرآن كانت في متناول ايديهم.

وقد أُطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وفي قول النبي (ص) : «اني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي». وفي هذا دلالة على انه كان مكتوباً مجموعاً، لانه لا يصح اطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور. بل ولا على مما كتب في اللخاف، والعسب، والاكتاف، الا على نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة. فان لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعي، ولا يطلق على المكتوب اذا كان مجزئاً غير مجتمع، فضلاً عما اذا لم يكتب، وكان محفوظاً في الصدور فقط»<sup>55</sup>.

<sup>54</sup> (البيان) - الخوئي ص 251-252.

<sup>55</sup> المصدر السابق ص 252.

اذن نستنتج مما ذكر بان القرآن الكريم قد كُتب في حياة رسول الله (ص) وجمع، جمعه علي بن ابي طالب (ع) وعدد آخر من صحابة رسول الله (ص). وعند وفاة النبي (ص) قام الامام (ع) بصيانة ما كان عنده من صحف كانت تشكل كل آيات القرآن المجيد محفوظاً بين اللوحين. اما الروايات المتناقضة حول جمع القرآن، فهي انما وُضعت من اجل اعطاء فضل الجمع للذين كانت المصلحة السياسية آنذاك تقتضي ان يُفضّلوا علي غيرهم. وقد حاولوا الغاء دور علي (ع) في كتابة القرآن وجمعه وصيانتة. وكانت تلك من مقتضيات السقيفة وما دار فيها.